المشرق

إطلاع الخضر على أطلاع النور

لحضرة الكاتب المحقق والعلّامة المدقق الاب انستاس الكرملي

وضعها تلبيةً لملتمس بعض قرّاء المشرق في السنة المنصرمة

١ً (تعريفهم) النَّوَر او النَّوَرة جيل من الناس منتشر في الارض كل الانتشار وهم قومٌ من العيَّارين(١ الشطَّار. الافَّاقين الدُّعَّار(٢. الرُّحَّل الاشرار. الهمج الأغرار. لا يُعرف لهم موطن ولا قرار. تضمُّ بعضهم الى بعضٍ جوامعُ واحدةٌ لا تعرف الأغيار. من لغةٍ خاصة بهم وخلوّهم من الديانة واشتهارهم بسوء الآداب والتعيُّش من وراء حيلٍ معروفة منهم او من وراء مِهنٍ دنيئة لا تكلّفهم عناء ولا وناء

٢ً (ذكرهم في التاريخ) ان الافرنج الذين عُنوا بجمع شتات تاريخ هذا الجيل وبتدوين بعض الاخبار عنهم هم رايٌ واحدٌ في أنهم لم يكونوا معروفين قبل سنة

١) العيَّارون جمع عيّار. وفي دواوين اللغة هو من الرجال الكثير المجيء والذهاب والذكيُّ الكثير الطواف او الذي يتردَّد بلا عمل. وقال ابن الانباريّ: العيَّار من الرجال الذي يُخلّي نفسهُ وهواها لا يروّعها ولا يزجرها. ونُريد بالعيَّارين هُنا اولئك الذين يعملون بعض الالعاب الغريبة والاعمال العجيبة بطرقٍ خفيةٍ على العوام لاختلاس اموالهم. وقد استعملها بهذا المعنى جماعة من مشاهير الكتبة. قال الدميري في مادّة جرذون: «وان أُحرق جلدهُ واطلي بهِ انسان لم يحس بالم الضرب والقطع ولو فُرّق بين راسه وجسده. والعيَّارون يفعلون ذلك فيظهر منهم الثبات على الضرب وغيرهِ» اه. وقال الخفاجيّ في شفاء الغليل: «بنو ساسان قومٌ من العيَّارين والشُّطَّار لهم حيلٌ» اه. ويقابل هذه اللفظة بالفرنسية bateleur, jongleur, saltimbanque, charlatan

٢) الدُّعَّار جمع داعر وهو الخبيث... المؤذي الفاجر. (التاج)

١٤١٧ للمسيح في بلاد اوربة او سنة ١٤٠٨ او ١٤٠٩ او على الابعد سنة ١٣٩٨ في آسية وذلك إثر انتشارهم في الاقطار لانَّ ضَربَهم في البلاد وقع على ما قالوا عقب غزوة تيمورلنك لدِهْلي (١

واما كتبة العرب الحدثين فلم يذكروا شيئًا عن هذا الجيل الغريب غير ما ذكرهُ الافرنج بل نقلوا ما كتبوهُ وذهبوا مذهبهم وجهلوا أنْ كان للنور ذكرٌ في تاريخ الدولة العربيّة وقد بلغوا الشأو البعيد من الشهرة وان كانت تلك الشهرة سيئة وقد شاطروا شوطًا معدودًا في الأحداث والوقائع التي طرأت قُبيل الاسلام وبعدهُ كما ستقف عليه وهو ممّا يدلُّك على ان الافرنج قد وهموا في قولهم انّهم لم يكونوا معروفين قبل غزوة تيمورلنك التي اختلف المؤلفون والمؤرخون في ذكر سنتها على التحقيق. وابعد ما اتّصلوا الى تعيينها هو سنة ١٣٩٨ على ما مرَّ بك

قلتُ: ولم يزد العرب الحدثون شيئًا على ما اوردهُ الافرنج. فقولي هذا مستند على ما طالعتهُ في مجلّة الطبيب والهلال والمقتطف ألّا اني سألتُ حضرة الامام الجليل والشيخ النبيل محمود شكري افندي الآلوسيّ ان يذكر لي ما وقف على مثل هذا الموضوع في كتب العرب الحدثين وان يُسمّي العرب باسمائهم مع ذكر تآليفهم فاجابني... « وفي الكاوليّة (اسم النوَر عندنا) رسالة ألّفها السيد جمال الدين الافغاني وذكر فيها احوالهم ومنشأهم واختلاف مشاربهم ووجودهم في جميع اقطار الارض على ما ذكر لي مؤلفها بنفسه. ولم تطبع الرسالة أيام حياته ولعلّها طُبعت بعد وفاته. وسأتتبّع ذلك فان عثرتُ على شيء يتعلق بمطاوبكم أرسلهُ » اهـ. هذا وانك تعلم بان السيد جمال الدين من علماء الاعلام وله القدم الراسخة في مثل هذه الابحاث الّا أننا لم نظفر الى اليوم بما انشأهُ هذا العالم الجليل

٣ (منشأهم الاصلي) قد ذهب العلماء مذاهب شتّى في اصل هذا الجيل

---

١) دهلي بتقديم الدال المهملة على الهاء لا « دلهي » بدال في الصدر بعدها لام ثم هاء كما توهّمها الشيخ ابراهيم اليازجي في الطبيب (ص ١٧١) قال صاحب التاج: « دهلي بالكسر اعظم مدن الهند الاسلاميّة لها عدّة تواريخ مختصة باحوالها وملوكها وبها امتازت به على غيرها من البلاد وقد ذكرها ابن بطوطة في رحلته واوسع فيها الكلام وهي على نهر جار كالنيل والنسبة اليها دهلويّ ودهليّ » . انتهى

ومنشاٍءهِ . فمنهم من قال بانَّ اصلهم اوربي كما تدلُّ عليهِ بعض اسمائهم عند الافرنج وهذا رأيٌ فطيرٌ لا يختمر وان مرّت عليهِ الادهار . ومنهم من ذهب الى انّهم من اصلٍ مصري وهو مذهب لا يقلُّ سخافةً عن المذهب السابق . ومنهم من صرّح بأنّهم من اصلٍ فارسي وهو رأيٌ توافقهُ بعض شهادات ومنهم من اثبت انّهمُ من الهنود وهو الراي الاشيع وعليهِ اغلب المحققين من المؤرخين وتسندهُ اسانيد كثيرة لكنّهُ عندنا ليس بالراي السديد الصحيح . والنوَر على ما نرى خليط من هنودٍ وفرس وكُردٍ وترك وتترٍ ونحوهم من خشارة أُمم تلك الاصقاع ونُفاياتهم . بل وفيهم بعض العرب وشيء من حُثالة سائر الامم التي يجاورونها مُدَّة او يحلُّون اصقاعها وربوعها

اما كيفيَّة الوصول الى اثبات هذه الحقيقة فليس لنا وسيلة أُخرى الّا البحث عن اصول تسميتهم اللغويّة في الديار الشرقيَّة فان اللغة قد ادَّت خدماً عظيمة ذات بال في مثل هذه الظروف للتوصّل الى معرفة اصل الشعوب والامم والاجيال والطوائف البشريّة كما هو معروف من إثبات اصل الهنود والفرس تلك الامور التي اصبحت اليوم راهنة بل وفي حرزٍ حريزٍ من الصحَّة بحيث لا تصل اليها بعد ذلك يد الوهم او الخلط او الخطأ . ومن هذا القبيل ايضاً فحص لغتهم التي يتكلّمون بها في ما بينهم وتدقيق النظر في اصل الكلام الجارية في لغتهم هذه . وعليهِ فلنبحث اولًا عن اسماء هذا الجيل في بلاد الشرق واصل مشتقات تلك الالفاظ والى اي عنصر من العناصر ترجع

٤ (اسماء النوَر وتاريخ تلك الاسماء) وقبل ان نضع القدم في العمل ونغطّ القلم في الدواة علينا ان نلاحظ ان اسماء هؤلاء الاقوام تختلف باختلاف البلاد من غربيَّة وشرقيَّة حسب الظنّ الذي حمل الناس على توهم بلاد منشإهم او مأتاهم او حسبما ادّعاهُ هؤلاء الاقوام من اصلي بلادهم . بل وتختلف أسماؤهم باختلاف القرون والعصور توهيماً للناس . الّا ان دليلنا الخرّيت في هذا النوع من السباريت هو الفصول المميّزة لهم من لغة خصوصية وسوء الآداب الى غير ذلك ممّا هو بمنزلة السمة التي وُسموا بها في كل اينٍ وآنٍ واتخذناها بمنزلة الجامع المانع لتعريفنا لهذا الجيل وهو الذي صدَّرنا بهِ هذه المقالة . واذ قد مهّدنا كل ذلك فنقول وبالله نستعين :

من اسماء النوَر النَّجَر بالتحريك وهو الاسم الذي يسمّيه بهِ اهل الجزائر وتونس والديار المصريّة . والغجر عندنا تصحيف كوَچر (Cotchar) التركيّة اي الرُّحَّل او المهاجرون

وبهذا الاسم التركي يُسمّون الى يومنا هذا في غربي بلاد فارس وشرقي بلاد الدولة العثمانيّة في آسية وبلاد الجزيرة والبعض يقول كُچر او كَچر واللفظة من اصل فارسي مشتقة من « كوچيدون » اي ارتحل او هاجر والمهاجرة والترحال من دأبهم وديدنهم. وهذه اللفظة لم تُطلق على النوَر قبل المائة السادسة عشرة للمسيح واليك تاريخها :

في عهد الشاه عبّاس الكبير من الدّولة الصفويّة في البلاد الايرانيّة (وقد تُوفّي سنة ١٦٢١) ضيّق بعض الحكّام على التركمان فنزح عن وطنهم « خمسون الف أُسرة » وجاءت الشاه المذكور وطلبت منهُ اسكانها بلادهُ ففرح الشاه بهذه المهاجرة الّا انهُ فزع من كثرة العدد الذي داهمهُ اذ تصوّر انهُ ربّما يتقوّى حزب هذه الأُسر يوماً فيقلب اصحابهُ الدولةَ ظهراً لبطن ويصلون الى اسمى وظائفها . ولمّا كان هذا الشاه داهية دهياء في السياسة فرّقهم في بلادهم إضعافاً لقوّتهم. فاقام جماعةً منهم في « جنوب بلاد فارس » على شاطئ بحر فارس صدًّا لغارات العرب. ولكن طائفة منهم « خمسة وروميه » فجماعهم بمنزلة سور حصين في وجه اعدائه. واماً الطائفة العظمى فاتّرلها « مازَنْدَرَان » كبحاً لجماح الأُزْبَك والتركمان والأُوميد والتتار الرُّحل الذين لا يفتأون من شنّ الغارات وقطع الطرق والمسالك على ابناء السبيل. ومنذ ذاك الحين أُطلق عليهم بنوع خصوصي اسم: « قَجر او غَجر او كَجر » وكلها تصحيف بيّن لكلمة كُوچر. واماً هذه اللفظة الاخيرة فأُبقيت على صورتها الاصلية لمطلق الرُّحل او المهاجرين الذين ليسوا من هؤلاء الاقوام. وبعد ان رسخت أقدام الغَجر في البلاد الجديدة التي حلّوها انقسموا الى فئتين وهما: فئة الشرق وفئة الغرب. وسمّيت الفئة الاولى « يُوقاري باش » اي « الأَعلون » والفئة الثانية « اشاغي باش » اي « الاسفلون »

امّا الاشاغي باش او غَجر الغرب فاختلط اغلبهم بالفرس كل الاختلاط وامتزجوا بهم امتزاج الماء بالرّاح واتخذوا ازياءهم وملابسهم ولغتهم وتخلّقوا باخلاقهم وفريق منهم اوغلوا في التسيار فجاوُوا شرقيَّ بلاد تركية واخذوا يتنقّلون من بلد الى بلد حتى طوّحتهم الطوائح الى شماليّ افريقية فتوطّنوها بالطول والعرض وهم الذين غلب عليهم اسم « النَّجر ». امّا اليوقاري باش او غَجر الشرق فلم يتخذوا من الفرس الّا لغتهم وبقوا محافظين على اصلهم وعنصرهم الى يومنا هذا متجمّعين في مازَنْدَرَان. وقد تحصّنوا

بالخصوص في استراباد على بحر قزوين واتخذوها قصبةً لهم طاوين ايامهم تحت حكم رئيس منهم يُعيّنهُ لهم الشاه. هذا وقد خدمت الاقدار هؤلاء المهاجرين حتى بويع بالملك لواحدٍ منهم فكان مؤسس دولة القجر او القاجار على الطريقة الفارسيَّة وهي الدولة المالكة اليوم اعنَّة الاحكام في بلاد ايران. فهذا هو اذن أصل القَجَر وتاريخهم على وجه الاختصار ومما أطلعتُ عليه تتحقَّق انَّهم من التركمان

امَّا النوَر وواحدها «نُوريّ» فعندنا انَّها تصحيف لُور. وهذا التصحيف يُرى احسن روّية في المفرد فكلمة «نوري» لا تبعد كثيرًا عن «لُوريّ» سوى بالنون. وانت تعلم ان تعاقب النون واللام في صدر الكلمة وقلبها وعجزها من الامور المشهورة في العربيَّة فان صاحب المزهر قد ذكر امثالًا كثيرة تؤيد هذا الإبدال. ومن ذلك «النَبْلَة والنَبْنَبة» ولهزتهُ ونهزتهُ. ثم قلّة وقنَّة وحالك وحانك. ثم هتل وهتن وهردلة وهردنة» فتأمل. امَّا شيوع لفظة النوَر فكان في القرن الثامن للمسيح حينما تغلَّب العرب على بلاد اللُور او لورِستان (من سنة ٦٥٢ الى سنة ١٢٥٨) الَّا ان الفصحاء من العرب لم يذكروها في كُتبهم لانهم نظروا الى هذه اللفظة نظرهم الى المولَّد من اللغة وهم كثيرًا ما كانوا يستنكفون من استعماله الَّا اذا الجأتهم الضرورة. وانت تعلم بان اللُور مشهورون بتلصُّصهم ومكرهم ودهائهم وشعوذتهم وسحرهم الى آخر ما عندهم من الأخلاق الذميمة التي حملت العرب على ان يشتقوا من لفظة «النُوري» المصحفة من لوريّ فعل «نوَّر» بمعنى فعل فِعْل النوَر من شعوذة واختلاس الخ. واول من ذكر ذلك من العرب الازهريّ (المتوفَّى سنة ٩٨١ للميلاد) غير انهُ ذهب الى ان الفعل مشتق من «نورة» وان نورة هي امرأة سحَّارة. وهذا نصّ كلامهِ: «نُورَةُ بالضم اسم امرأة سحَّارة ومنهُ قولهم لمن فعل فعلها: قد نوَّر. فهو مُنوِّر. وليست بعربيَّة صحيحة». فزاد على هذا الكلام صاحب التاج ما حرفهُ: «قلتُ: ويجوز ان يكون منهُ نأخذُ «النوري» بالضمّ وياء النسبة للمختلس. وهو شائع في العوام كانهُ يُخيِّل بفعلهِ ويشبَّه عليهم حتى يختلس شيئًا. والجمع نوَرة محركةً» اه. وقد قال الشيخ ابراهيم اليازجي في طبيب سنة ١٨٨٤ — ١٨٨٥ ص ١٦٩ بعد ايراد كلام التاج: «وعليهِ فتسمية هؤلاء بالنوَر تحتمل احد وجهين. امَّا ان يكونوا اطلقوا عليهم هذا اللفظ من النوري بمعنى المختلس لانَّ صنعتهم الاختلاس وامَّا ان يكونوا نُسبوا الى نورة الساحرة لانَّ السحر ايضًا من شأنهم. ولعلَّ

هذا اقرب لقرب توجيهه. وحينئذٍ فيجوز ان يكون النوري للمختلس مأخوذاً منهم كما يشهد به استعمال العامّة لهذا اليوم. وجمع النوري على نَورَة كما في التاج او على نَوَر كما هو المتعارف في هؤلاء كلاهما على غير قياس الّا ان هاتين الصيغتين (وقد انكر الشيخ على اصحاب الجرائد استعمال هاتين بدل هذين) قد تترادفان في الجمع كما يقال خدَمة وخدَم وحفَدة وحفَد فتكونان من بابٍ واحد». انتهى

قلنا: أمّا قول اللغويين ان نورة امرأة سحارة فهذا محتمل غير انّهم لم يزيدوا على ذلك شيئاً يُعرَف هذه المرأة من زمانٍ عاشت فيه او بلدةٍ نشأت فيها او امّة انتسبت اليها. فمجرَّد القول ان النورة امرأة سحّارة لا يبلّ صدى غليل ولا يخفّف جوى عليل بل ننظم هذا الاشتقاق في سلك الخياليّات التي يتوهمها بعض الكتبة في مثل هذه الامور اراحةً لما في النفس من التطالّ الى معرفة كل مجهول والى حلّ كل معقود. وامّا جمع نوريّ على نورَة او نوَر بالتحريك في كليهما فهو من الجموع الشاذّة وكان الحقّ ان يُقال فيه « نُوْر » بضمّ فسكون. كروميّ وروم. الّا انهم لو كانوا يقولون « نُوْر » على القياس لوقع التباس بين نُور ونور اي بين اسم هذا الجيل وبين اسم الضوء المعهود فحرّكوا ازالة للّبس. هذا هو رأينا فليتبع القارئ بعد ذلك رأي من يوافقهُ او يستصوبهُ. وعليه فالنوَر اذن من اصل لوريّ اي من جنس الكُرْد

والحلبيّون يُسمون النوَر « بالقُرَبات » والواحد قُرَباتيّ » والكلمة تخفيف وتصحيف جَرْباذَقان او كُرْباذَكان وهي بلدة قريبة من همذان يكثر في ضواحيها سَقَط الناس ورذالتهم. وقد أمر نادر شاه سنة ١٧٣٨ م بطردهم فغادروا تلك الربوع وجاؤوا بلاد الدولة العليّة حتى ألقوا عصا ترحالهم في نواحي حلب الشهباء الّا طائفةً منهم عادوا الى وطنهم وهم لا يزالون هناك الى يومنا وعليه فالقُرَبات من اصلٍ فارسيّ او يكاد يكون فارسيّاً لان ساكني الضواحي لا يُعرف لهم اصل

وفي اطراف الموصل وبعض انحاء بغداد يُطلق عليهم اسم القرَج بجيم فارسيّة في الآخر وهم فرقة من النوَر مشهورة بشدّة جشعها وطمعها وسرقتها. وهم يدّعون انّهم من القُرَشيين كما هو شأن كلّ دنيّ زنيم فانهُ ينتسب الى اشرف امّة او قبيلة او أسرة ليزكّي أصلهُ. والحقّ انّهم من كَرَج. قال ياقوت في معجم البلدان: كَرَج بفتح اوّلهِ وثانيه

وآخرهُ جيم وهي فارسيَّة ... مدينة بين همذان واصبهان » . اهـ . قلتُ : ويكثر في ضواحيها كما في ضواحي مدن فارس الكبرى قوم أجلاف من صنف النوَر ولا شكَّ انّهم من اصل واحد بل وانّهم منهم . امّا زمان انجلاء القرَج عن وطنهم الاصليّ فلم نعثر عليه في التاريخ . وعلى كلٍّ فان القرَج من عنصرٍ فارسيّ او يكاد يكون فارسيًّا اي كرديًّا مثلًا (١

وللنوَر في ولاية الموصل اسم آخر وهو « الُمطْربة » واشتقاق اسمهم عربي ظاهر وسبب تسميتهم واضح لا يحتاج الى شرح

وفي بعض اصقاع الشام والجزيرة يُسمّيهم الناس « جُعَيديّة » والواحد « جُعَيديّ » واسمهم هذا يدلّ على انهم من عُنصر عربيّ او انّهم انضمّوا الى واحدٍ من العرب اتخذوهُ زعيمًا لهم اسمهُ جُعَيد . قال في محيط المحيط : « الجُعَيدي » البخيل ومن كان من اوباش الناس نسبةً الى جُعَيد او هي عاميّة . وقيل ان جُعيدًا رجل من اهل مصر كان يطوف على الناس لابسًا قلنسوة ذات أجراس وفي يدهِ دفٌّ ينقر عليهِ وينشد مدائح مرتجلة يستعطي عليها . فتبعهُ جماعة في هذه الصناعة وهم المعروفون بالجعيديّة نسبةً . وتُطلق هذه النسبة على من كان من لئام الناس تشبيهًا لهُ بالجعيديّ » اهـ . قلتُ : وكثيرًا ما نرى مع النوَر في نواحي بغداد مثل هؤلاء الجعيديّة يكونون معهم في الحلّ والترحال ودأبهم الرقص والدقّ وانشاد الاغاني

امّا في بغداد واغلب اقطار العراق وجزيرة العرب فلا يُعرف النوَر الّا باسم الكاوُليّة او الكُوليّة او الكُول والواحد منهم كاولي او كُوليّ او كُولِيّ . وعندي انها مشتقة من كُوَل بضمّ ففتح . قال في التاج : « كُوَل كزُفَر والعامّة تكتب كُوار كغراب بالراء في آخرهِ وهكذا هو في كتب الانساب : بلدة بفارس بينها وبين خور عشرة فراسخ لا محلّة بشيراز كما ظنّهُ الصاغاني ويحتمل ان تكون هذه الجلة نُسبت الى اهل هذه القرية لنزولهم بها » انتهى . وعليهِ فانّهم من اصل فارسيّ كما اشرنا الى مثل هذا في

---

١) وقد اشار ياقوت في معجمهِ الى وجود مثل هؤلاء الناس من الاكراد في نواحي فارس المختلفة بقولهِ (٣ : ٨٢٨) : « وبنواحي فارس من احياء الاكراد ما يزيد على خمسمائة الف بيت شعر ينتجعون المراعي في الشتاء والصيف على مذاهب العرب

ما تقدّم. اللهمَّ الَّا ان يُقال ان الكَوْبليَّة نسبة الى الكَوْي على الطريقة التركيَّة لان الكلمة تركية ومعناها القرية. ومحصَّلها القرويّون لحلولهم في ضواحي المدن الكبار او في القرى المجاورة لها فحينئذٍ يُقال أنَّهم من اصل نشأَ في بلاد الترك ويحتمل ان يكونوا من عُنصر تركيّ أو غيرهِ. او ان يُقال ان الكلمة تصحيف الكُول وهي طائفة من الناس جاء ذكرها في التاريخ. قال ياقوت في مادة «المُولتان»: ذكر اهل السِيَر ان الكول وهم شُراة كُفّار تلك الناحية (ناحية المولتان في بلاد الهند) سبوا نسوة من المسلمين فصاحت امرأة منهم يا حجَّاجاه. فبلغهُ ذلك فارسل الى داهر ملك الدَّيْبُل وامره على الغزو لهؤلاء الذين سبوا النسوة فحلف انهُ لا طاعة لهُ على الذين اخذوهنَّ. فاستأذن عبد الملك في غزوهِ فلم يأذن لهُ. فلمَّا ولي الوليد استأذنهُ فاذن لهُ فبعث لذلك محمَّد بن القاسم بن ابي عقيل ابنَ عمّهِ فقتل داهر وفتح مولتان من بلاد الهند. وفي فتوح البلدان للبلاذري (ص ٤٣٥) اختلاف في الرواية قال:

« اهدى الى الحجَّاج ملكُ جزيرة الياقوت نسوةً وُلدنَ في بلادهِ مسلمات ومات آباؤهنَّ وكانوا تجارًا فاراد التقرُّب بهنَّ فعرض للسفينة التي كنَّ فيها (الكُول وَهُم) قومٌ من ميد الدَّيْبُل في بوارج فأخذوا السفينة بما فيها فنادت امرأة منهنَّ وكانت من بني يربوع: « يا حجَّاج » وبلغ الحجَّاج ذلك فقال: «يا لبَّيكِ». فارسل الى داهر يسألهُ تخلية النسوة فقال: انَّما اخذهنَّ لصوصٌ لا اقدر عليهم. فاغزى الحجَّاج عُبيد الله بن نبهان الديبل فقُتل فكتب الى بُديل بن طهفة البَجَلي وهو بعمان يأمرهُ ان يسير الى الديبل فلمَّا لقيهم نفر بهِ فرسهُ فاطاف بهِ العدوّ فقتلوهُ. وقال بعضهم قتلهُ زطُّ البُدهة » انتهى. وعليهِ فيكون الكول او الكولية من اصل هنديّ وهو الارجح على ما يظهر لي

او لعلَّ الكاوليَّة مصحَّف الكُوهليَّة نسبة تركية الى كُوه اي الجبل فيكون معنى الكاوليَّة الجبليين او لعلَّها تصحيف كَهْلُويَّة وهي قرية من قرى سَوْدُوذ أو سَرْدرُوذ ولتلك القرية تصحيفات اخرى منها كِلُويَّة والاصل في تسميتها كوه كَهْلُويَّة

وامَّا الدمشقيّون وبعض ادباء البصرة فيُسمُّون النوَر « زطًّا » والواحد منهم زُطّي وهذا الاسم ايضًا غير مجهول في بغداد ومعناهُ النوَر والنوري. قال في التاج: «الزُطّ بالضمّ جيل من الناس كما في الصحاح. وقد جاء ذكرهُ في البخاريّ في صفة موسى عم:

١) راجع (Ed. Quatremère — *Hist. de Mongols*, p. 384 *en note*.)

« كانهُ من رجال الزطّ » واختُلف فيهم فقيل: هم السيابجةُ قومٌ من السند بالبصرة. وقال القاضي عياض: هم جنس من السودان طوالٌ. ومثلهُ في التوشيح للجلال. وزاد: مع نحافة. ونقل الازهريّ عن الليث: انهم جيلٌ من الهند اليهم تُنسب الثياب الزُطيَّة. قال: وهو معرَّب جَتّ بالفتح بالهنديَّة. قال الصاغاني: امَّا الليث فلم يقل في كتابهِ هذا وامَّا « جَت » بالهنديَّة فصحيح بفتح الجيم وكذلك هو مضبوط في نسخةٍ صحَّحها الازهريّ وعليها خطُّهُ بفتح الجيم وعلى هذا القياس يقتضي فتح معرَّبهِ ايضًا. وفي الصحاح: الواحد زُطيّ كالروم والروميّ والزنج والزنجي. وقال ابن دُرَيد: الزُطّ هذا الجيل ليس بعربيٍّ محض وقد تكلَّمت بهِ العرب. وانشد:

فجئنا بجيٍّ وائل وبناتها وجاءت تميم زُطّها والاساورُ

وقال ابو النجم:

جارية احدى بنات الزطّ ذات جهادٍ مضغطٍ ملطّ

قلتُ: وكان خالد بن عبد الله اعطى ابا نجم جاريةً من سبي الهند ولهُ فيها ارجوزة اولها: علقتُ خودًا من بنات الزطّ». اه كلام التاج

وجاء في محيط المحيط: الزطُّ طائفة من اصل الهند معرَّب جَتّ. واليهم تنسب الثياب الزُطيَّة الواحد زُطيّ. وهم المعروفون في الشام بالنَوَر. وبعضهم يسمّيهم المُطربيَّة لانَّ مهنتهم التطريب بالطبول والزمور والرقص. وهم ممَّا يُشتَم بهِ (كذا اي وهو اي اللفظ ممَّا يشتمُ بهِ) فيقال: يا زُطيّ اي دنيٌّ لئيم. اه

وذكرُهم في التاريخ مشهور الظاهر انَّهم جاؤوا من الهند قبل الاسلام لانهم كانوا كثيري العدد عند ظهوره. قال البلاذريّ في فتوح البلدان (ص ١٦٢): « نقل معاوية في سنة ٤٩ او سنة ٥٠ (٦٦٩–٦٧٠ م) الى السواحل قومًا من زُطّ البصرة والسيابجة وانزل بعضهم انطاكية. قال ابو حفص: فبانطاكية محلَّة تُعرَف بالزُطّ. وببوقا من عمل انطاكية قوم من اولادهم يُعرفون بالزطّ. وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل الى انطاكية قومًا من زُطّ السند ممَّن حملهُ محمَّد بن القاسم الى الحجَّاج فبعث بهم الحجَّاج الى الشام » اه. وقال (ص ١٧١): « وقد كان المعتصم بالله نقل الى عين زَربة ونواحيها بَشرًا من الزطّ الذين قد كانوا غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع

اهلُها بهم.» اه‍. وقد اتى المؤلف على كلام وافٍ شافٍ (في ص ٣٧٢ وما يليها) نذكر منهُ ما يحتاج اليهِ المقام وهذا هو بحرفهِ: «قال ابو الحسن المدائني اراد شِيرَوَيهِ الأُسواريُّ ان ينزل في بكر بن وائل مع خالد بن المعمَّر وبني سَدُوس فابى سياه ذلك فنزلوا في بني تميم ولم يكن يومئذٍ الأَزْدُ بالبصرة ولا عبد شمس. قال: فانضمَّ الى الاساورة السيابجة وكانوا قبل الاسلام بالسواحل وكذلك الزُطّ وكانوا بالطفوف يتبعون الكلأ. فلمَّا اجتمعت الاساورة والزطّ والسيابجة تنازعتهم بنو تميم فرغبوا فيهم فصارت الاساورة في بني سعد والزط والسيابجة في بني حنظلة. فاقاموا معهم يقاتلون المشركين وخرجوا مع ابن عامر الى خراسان ولم يشهدوا معهم الجمل وصِفّين ولا شيئاً من حروبهم حتى كان يوم مسعود. ثم شهدوا بعد يوم مسعود الرَّبذَة وشهدوا أمر ابن الاشعث معهُ فاضرَّ بهم الحجَّاج فهدم دورهم وحطَّ أعطياتهم واجلى بعضهم وقال: كان في شرطكم ان لا تعينوا بعضنا على بعض. . . . واماَّ السيابجة والزطّ والاندغار فانَّهم كانوا في جند الفرس ممَّن سبوهُ وفرضوا لهُ من اهل السند ومن كان سبياً من اولي الغزاة. فلمَّا سمعوا بما كان من امر الاساورة اسلموا واتوا ابا موسى فانزلهم البصرة كما انزل الاساورة وحدثني رَوْح بن عبد المؤمن قال: حدثني يعقوب بن الحضرميّ عن سلاَّم قال: أتى الحجَّاج بجُلَّتي من زُطّ السند واصناف ممَّن بها من الامم معهم اهلوهم واولادهم وجواميسهم فاسكنهم باسافل كَسْكَر. قال رَوْح: فغلبوا على البطيحة وتناسلوا بها. ثم انهُ انضوى اليهم قوم من أُبّاق العبيد وموالي باهلة وخَوَلة محمَّد بن سليمان بن عليّ وغيرهم فشجعوهم على قطع الطريق ومبارزة السلطان بالمعصية وانَّما كانت غايتهم قبل ذلك ان يسألوا الشيء الطفيف ويصيبوا غُرَّةً من اهل السفينة فيتناولوا منها ما امكنهم اختلاسهُ. وكان الناس في بعض ايَّام المأمون قد تحاموا الاجتياز بهم وانقطع عن بغداد جميع ما كان يُحمل اليها من البصرة في السُفُن. فلمَّا استخلف المعتصم بالله تجرَّد لهم وولَّى محاربتهم رجلاً من اهل خراسان يُقال لهُ عُجَيف بن عَنْبَسَة وضمَّ اليهِ من القوَّاد والجند خلقاً ولم يمنعهُ شيئاً طلبهُ من الاموال فرتَّب بين البطائح ومدينة السلام خيلاً مضمرة مهلوبة الاذناب وكانت اخبار الزطّ تأتيهِ بمدينة السلام في ساعات من النهار او الليل وامر عُجَيفاً فسكَّر عنهم الماء بالمؤن العظام حتى أُخذوا فلم يشذَّ منهم احدٌ .

وقدم بهم الى مدينة السلام في الزوارق فجعل بعضهم في خانقين وفرّق سائرهم في عين زَرْبة والثغور

« قالوا وكانت جماعة من السيابجة موكَّلين ببيت مال البصرة يقال انهم اربعون ويقال اربعمائة فلمّا قدم طلحة بن عُبيد الله والزُبير بن العوّام البصرة وعليها من قبل عليّ بن ابي طالب عثمان بن حُنيف الأنصاري أبوا ان يُسلموا بيت المال الى قدوم علي رضه فاتوهم في السَّحَر فقتلوهم . وكان عبد الله بن الزّبير المتولي لامرهم في جماعة تسرّعوا اليهم معهُ وكان على السيابجة يومئذٍ ابو سالمة الزطيّ وكان رجلًا صالحًا . وقد كان معاوية نقل من الزطّ والسيابجة القدماء الى سواحل الشام وانطاكية بشرًا وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل قومًا من الزطّ الى انطاكية وناحيتها . قالوا : وكان عبيد الله بن زياد سبى خلقًا من اهل بخارى ويُقال بل نزلوا على حكمه . ويقال بل دعاهم الى الامان والفريضة فنزلوا على ذلك ورغبوا فيه فاسكنهم البصرة فلمّا بنى الحجّاج مدينة واسط نقل كثيرًا منهم اليها فمن نسلهم اليوم بها قوم منهم خالد الشاطر المعروف بابن مارقي . قال والاندغار من ناحية كرمان ممّا يلي سجستان » انتهى

وقال ابن خلدون : الزطّ قومٌ من اخلاط الناس (وهذا عندنا هو الرأي الاصحّ) غلبوا على طريق البصرة وعاثوا فيها وأفسدوا البلاد وولّوا عليهم رجلًا منهم اسمهُ محمّد ابن عثمان وقام بامره آخر منهم اسمهُ سُمّاق وبعث المعتصم لحربهم عجيف بن عُنبسة فسار الى واسط وحاربهم وقتل منهم في معركة ٣٠٠ واسَر ٥٠٠ ثم قاتلهم وبعث برؤوسهم الى باب المعتصم واقام قبالتهم سبعة اشهر ثم استأمنوا اليه وجاؤوا باجمعهم في ٢٧ الفًا منهم ١٢ الفًا مُقاتلة فعبَّأهم عجيف في السفن على هيئتهم في الحرب ودخل بهم بغداد وركب المعتصم الى الشمّاسة في سفينة حتى رآهم ثم غرّبهم الى عين زَرْبة فاغارت عليهم الروم فلم يفلت منهم احدٌ اهـ

وقد ذكر ابن الاثير (٢ : ١٤٢) في وقائع السنة التاسعة للهجرة وهي سنة ٦٣٠ م ردَّة اهل البحرين ومن جملة ما قال هناك ان الزطّ والسيابجة كانوا بالخطّ من ارض البحرين . وفي سنة ٢٠٥ ولّى المأمون محاربتهم عيسى بن يزيد الجلوذي ثم داود بن ماسجور سنة ٢٠٦ ثم ذكر محاربة عجيف لهم سنة ٢١٩ وان إغارة الروم عليهم كانت سنة

٢٤١ فاخذوا نساءهم واولادهم ودوابهم وكان جماعة منهم ببلاد الديلم وانضمُّوا الى ابن بختيار سنة ٣٩٠ .ثم انقطع ذكرهم من كتابه

هذا جلُّ ما جاء في كُتُب التواريخ العربيَّة عن الزطّ وقد اكتفينا بما تقدَّم لان كلام الذين جاؤوا بعد هؤلاء المؤرّخين الكبار لا يُعدّ شيئاً. وهو بمعنى كلامهم

(التابع للقادم)

إزدهار الديانة الكاثوليكيّة في انكلترة

بقلم الاب يوسف جباره اليسوعي (تابع لما سبق)

واذا انتقلنا الى الهند تلك المستعمرة الانكليزيَّة الواسعة الاكناف الغزيرة الرافق وقابلنا عظمتها الحاضرة بما كانت عليه من الضآلة في بدء الجيل السالف لأ ألفينا بين الزمنين بوناً شاسعاً . ففي اوائل الجيل التاسع عشر لم يكن في بلاد الهند الّا ثلاثة اساقفة وزهاء ٣٠٠ مرسل و٥٠٠,٠٠٠ كاثوليكيّ . وزدْ على ذلك انهُ لم يُنظر فيها عندئذٍ لا اكليروس وطنيّ ولا راهبات ولا مدارس . واماً الآن فترى فيها ٣٣ كرسياً اسقفياً و٨٠٠ كاهن اوربيّ و٦٥٠ كاهناً هندياً و٢٠٠ اخ راهب (Frères) و٦٠٠ راهبة اوربيَّة و٢٠٠ هنديَّة و٧٠ مدرسة كبرى و٢,٢٠٠ مدرسة صغرى يغشاها ١٠٠,٠٠٠ طالب ومدرسة اكليريكيَّة تلامذتها ستَّة آلاف ثمَّ ٩٨ ميتماً يأوي اليها ٥,٨٠٠ ولدٍ . والكاثوليكيُّون قد اربوا على المليونين . هـذا ما بلغتهُ من الشأو الديانة الكاثوليكيَّة في بلادٍ خفقت فوقها الراية الانكليزيَّة وهذا ما جرى ايضاً في كندا وفي كل بلدٍ اذاقتهُ الحريَّة الانكليزيَّة لذاتها (١

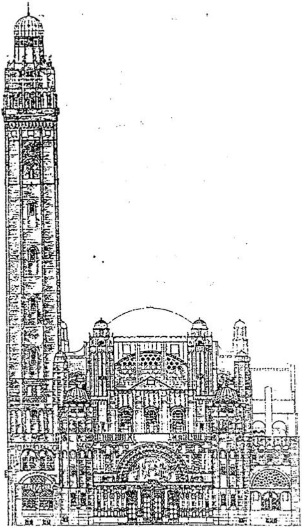
وكفى بالامثال السابقة دليلاً ساطعاً على ما آتى السيد المسيح كنيستهُ من السطوة العجيبة الالهيَّة في الانحاء الانكليزيَّة خاصةً . ولو حاولنا بيان حالة كل منها لضاق بنا المجال وكلَّ اليراع عجزاً فضلاً عن ان قصدنا في هذه المقالة البحث عن ازدهار الكثلكة في انكلترة دون سواها

١) راجع Cardinal Moran: *Catholic Times*, 22 Septemb. 1899

فكأني بيد العناية بعد ان اختبرت بنار المحن فرند الكنيسة الكاثوليكة في انكلترة قد اعادتهُ الى غمده وقد بهر الابصار رونقهُ وفتن الالباب جوهرهُ . وكأني بيد العدل قد ضمَّت واحدةً واحدةً تلك الفرائد التي سلبها الاصلاح فنظمتها عقدًا بديعًا وطوَّقت بهِ نحر كنيسةٍ حاول الجحيم امتهانها وتسويد صفحة مجدها فبدت اليوم بمظاهر عزّها وعادت انهار الديانة الى مجاريها الاولى فكثرت كما قلنا الاهتداءات وانتشرت محاسن الحفلات الدينيَّة وانتصبت الكنائس في كل صوب مبشرةً بني الايمان بادراك الاماني وورود بريد الخلاص . وكفى للدين فخرًا تلك الكنيسة الشائقة التي قامت بالقرب من بناية وستمنستر الرائعة . فقد بلغ طولها خارجًا ٣٦٠ قدمًا وعرضها ١٨٠ وعلوُّها الى قمّة ابراجها ٢٨٣ ونفقاتها الى اليوم أُحصيت فكانت نحو ٢٠٠,٠٠٠ جنيه انكليزيَّة مع أنَّها لم تصل بعد الى حدّ الكمال ولم يضرب لانجازها زمان قريب المجال (انظر الصورة)

وكذلك الرتب البيعيَّة ظهرت متحلّيةً بحلى عظمتها وابَّهتها وبرزت الكنائس من الدياميس وقد تقدمتها الاعلام والرايات وابدت من آثار الايمان ومجالي التقوى ما لم ترهُ عين في بلاد كاثوليكيَّة محضة . وحسبك لقولنا شاهدًا تلك الحفلة الرائعة التي اقامها الكاثوليكيون تذكارًا للجيل الثالث عشر لحلول القديس اغسطينوس رسولهم الأول في سواحل انكلترة . وممَّا اذهلت القلوبَ غرابةً واخرقت العقولَ عجابةً ان كثيرين من البروتستانت يشهدون اليوم هذه الحفلات التي كانت تُثير قدمًا دفين حقدهم يشهدونها وعليهم امارات الاحترام وعلامات الاجلال والاكرام . وهذا ما المع اليهِ اسقف لڤربول الانكليكاني في خطبة اعرب فيها عمَّا يخالجهُ من عوامل الحيرة والاسف لمَّا هبطت حواجز العداوة التي شيَّدها الاصلاح فاصلةً بين ذريته وذرّيَّة كنيسة رومية . واذ اندفع في الكلام ثار ثائره لاهمال قومهِ تساهلاً « بركة الاصلاح العظمى » وما سنَّتهُ الدولة سابقًا من الشرائع المضادة للتعاليم الرومانيَّة . . . »

لعمري يحقُّ لهُ التقلُّب على جمرة الغضا ويجدر بهِ فضّ الدمع حرقةً واسى حيث كل فاصل قائم بين الكاثوليكيين وسائر افراد الامة الانكليزيَّة قد هدمتهُ وقوَّضتهُ سنن العدل والاستقامة فامتزج المتنافران طبعًا امتزاج الماء بالراح والتأم الحزبان التئام الاجساد بالارواح . فاضحى البابوي انكليزيًّا كالانكليزي البروتستاني نفسهِ يخالطهُ في الاندية



كنيسة وستمنستر الكاتدرائيّة لكاثوليك الانكليز

العلميَّة والادبيَّة ويجاريه في مضمار الرتب والمناصب الوطنيَّة حتى لم تتجاوز همَّتهُ الَّا مقامات قلائل حُتِمَ على اصحابها باتباع المذهب البروتستاني . . .

وماذا اقول في اكسفورد تلك الكليَّة القديمة العهد التي طبَّق ذكرها الآفاق وطوَّقت بافضالها الاعناق فانَّها قد فتحت بعد كرور ثلاثة اجيال رحب ابوابها للطلبة الكاثوليكيين فاخذوا يتقاطرون اليها زرافاتٍ ووحداناً لاجتناء داني قطوفها حتى الرهبان انفسهم حلُّوا فيها على السعة والترحاب فلليسوعيين والبنديكتيين في اكسفورد معهد خاصّ تُنثَر فيهِ درر الآداب ولبعض الكهنة محطّ رحل في كليَّة كمبريدج الشهيرة بعلومها الرياضية

وكل من يذكر ما تخوَّلهُ من النفوذ العقلي والادبي مزاولة الدروس في تينك الكليَّتين العظيمتين يوقن ان امرًا كهذا يترتَّب عليهِ فوائد عميمة فريدة. فبهذا التقرب تذلُّ كل العقبات الحائلة بين الكاثوليكيين والبروتستانت وباحتكاك العقول واصطكاك الخواطر لا ينِي بروز النور فتنجلي رويدًا رويدًا حنادس الريب والخصام وتتلألأ في سماء الاذهان كواكب الثقة والوئام

ولا يذهب معترض الى ان الكنيسة الكاثوليكية نفسها لم تُصب في اعين الانكليز حظوة وافرة فان رؤساءها الروحيين بعد ما كانوا نسيًا منسيًّا بل هدفًا لكلّ السهام اصبحوا اليوم مكرَّمين مقرَّبين . أوَ لم نرَ نيافة الكردينال مانين وخلفهُ الكردينال ڤون منتدبَيْن الى الجلوس بقربة من الاساقفة الانكليكانيين في الحفلات الرسميَّة والمنتديات السياسيَّة ؟ وما احرزهُ بعض ابناء الكثلكة في انكلترة من الاعتبار والتجلة لقد كان عجيبًا في بابهِ. فالكل قد احاطوا علمًا بما كان لذينك الكردينالين نيومن ومانين من علو المنزلة في اعين معاصرهما على اختلاف مشاربهم ونحلهم حتى كانت لجنازتهما حفلة اشتركت فيها الأُمة الانكليزيَّة باسرها ونُصبت رسومهما في كل مُشرَفٍ من مدارس اوربول وباليول وأُقيم ما خلا ذلك لنيومن تمثالٌ في لندن امام كنيسة الاوراتوريين

ومن اراد شاهدًا صدقًا ودليلًا ثبتًا يُسفر عمّا ادركتهُ الكثلكة من الرفعة والتأييد في الاصقاع الانكليزيَّة فعليهِ بمطالعة ما كتبهُ احد الصحافيين المسيو جنبيه (Gambier) الابروتستاني في هذا الصدد الذي يهمُّنا ايضاحه

قال رعاه الله: «لا يوجد بلد تحت القبّة الزرقاء اتسع فيه نطاق السلطة البابويّة اتساعهُ في انكلترة. فاذا امعنا الفكر في تاريخ الاجيال السالفة لرأينا بأية سرعة انتقلنا نحن معاشر الابروتستانت من البغض الشديد الى التساهل ثم الى المصافاة لمن قاومنا ديانتهم. هذا في الامور السياسية وامّا في سبيل الآداب فقد كان التغيير اعظم وابلغ ففي اكسفورد وكمبريدج وبالعموم في المغاني الزاهرة بالعلوم دونك ما كانت عليه حالة الافكار في أبان الثلاثين السنة الحالية. ففي البدء شمل العقل كلّ المسائل العلميّة حتى الدينيّة رغبةً في الوقوف على اسرارها ثم تسلّط على النفوس كفرٌ هائل همّ بابادة الملّة الاولى ابادةً فانقرضت دولتهُ عاجلًا ولم يلقح الّا شرًّا. وخلفهُ مذهب الارتياب واللاأدريّة وقد انكر للعقل وسائل تمكّنه من ادراك ما تخطّى مُلك الحواسّ وما عمّ ان غاب عن العيون عينه واثره فبويع لمذهب آخر قال اصحابه بموجب تلك المعرفة ووجوب اتّباعها ولكنهم احجموا عنها لعجزهم عن تحصيلها. وفي الختام برز عهد جديد فظهر رجال ذوو قوة ومراس اثبتوا ايمانهم ورجاءهم ببلوغ الغبطة السرمديّة وطلبوا من يمهّد لهم اليها سبيلًا فاصبح كثيرون يؤمنون بالحياة الاخرى ويتّخذون الوسائط الناجعة لقضاء بغيتهم فتقرّبوا من جرّاء ذلك الى رومية وتعاليمها.

«انّنا وايم الحق لجاهلون عظم امتداد الكثلكة وسرعتها المتفاوتة الحدّ في بلادنا قد شمّر عن ساعد الجدّ لنشرها كهنةٌ ذوو غيرة ناهضة يؤازرهم رجال عاملون في مشروعهم الاثير بهمّة لا تني البتة ولا تثنيها عقبة. امّا علائق الكرسي الرسولي فهي سلميّة عمومًا ودليل ذلك تلك الرسالة العامة التي اصدرها لاون الثالث عشر للشعب الانكليزي.(« ad Anglos» ١٤ نيسان ١٨٩٥) فما عدا الاسطر الاخيرة التي اودعها كتابه طالبًا بها الاستمرار بالصلاة والالتجاء الى البتول الطاهرة لإلحام سدى ديانة الامة الانكليزيّة فالباقي لا يأنف من قراءته واستحسانه خدمة الابروتستانت الروحيون اعينهم

« ولكنّ الحبر الاعظم اتى عملًا آخر لا اضنّ بذكره. فقد اجاز منذ امدٍ غير بعيد للشبان الكاثوليك ان ينخرطوا في سلك طلبة كليتي اكسفورد وكمبريدج. فهذا الالتحام من شأنه ان يدرّ على الكنيسة الكاثوليكيّة خيرات وافرة هامرة. ومنهُ نستنتج ان قداسته لعالمٌ حقّ العلم بما يجري بين ظهرانينا.

« ودونك باختصار اهمّ الاسباب التي تسنّي للكثلكة في انكلترة بتوسيع نطاقها وتعميم تعليمها: سعي ارلندة المتواصل وراء ضالّتها ألا وهو الامتياز بسياسة شؤونها الداخليّة بدون وسيط ولا معارض (Home-rule) — وَعْدُ الحكومة بتشييد كليّة كاثوليكيّة في دوبلين تتكفّل بدفع نفقاتها — تبدُّد شمل الكنيسة الانكليكانيّة تحت كلّ كوكب — دروس معالم كل سلطة كنسيّة على إثر ابطال الكراسي المخصصة بالاساقفة الانكليكانيين في مجلس الامراء — اقامة اعضاء عالمين بدلًا من الروحيين في ادارة الجمعيّات الخيريّة المختلفة — واخيرًا عدم ارضاع شبّاننا افاويق العلوم الدينيّة التي تمكّنهم من مجاراة الكاثوليكيين في حلبة الجدال والفرار من شباك تعاليمهم. وزد على ذلك كله خطّة سياسيّة متباينة جعلت مذاهبنا المتعددة محورًا تدور عليه مطامع كل حزب

« هذا ما سمح للكنيسة الرومانيّة باحراز ما احرزته من التقدّم الباهر ولا يمضي زمن طويل ألّا ونرى لا محالة في انكلترة عنصرًا كاثوليكيًا تبدو اهميّته لكل ذي نيّرة وحينئذٍ ما من احدٍ يستطيع ان يمنع اربابه من استلام مقاليد السلطة العليا (١) » انتهى كلام جامبيه

فمن افواه الابروتستانت انفسهم قد التقطنا حقيقةً يجلُّ قدرها كل ذي فكر. ولا نظنّ مطلقًا ان في كلام الكاتب المذكور غلوًا او شططًا. فقبله ببضع سنين كان الكردينال ڤون قد وفى هذه الحركة حقّها من الوصف وذلك في المجتمع القرباني الذي عُقد في انڤرس (بلجيكا) سنة ١٨٩٠ فقال:

« ان انكلترة تسرع موسعة الخُطى الى سهول الكنيسة الكاثوليكيّة الخصبة. فان خدَمة الدين الانكليكاني والأُسر الشريفة وكبار متوظفي بلادنا قد لبّوا داعي الايمان الحقيقي. ولا تخلو الآن عائلة شريفة من عضو اهتدى فتشرّب حبّ ديانتنا. والحكومة ذاتها قد اظهرت ارتياحها لنا وثقتها بجدارتنا اذ سوّغت لنا تولّي مهامّ الامور السياسية وتقلّد المناصب السامية بعد ان حظرتها علينا سنين كثيرة... والآن وان لم تمكّننا ذات يدنا من مناصبة الابروتستانيّة مناصبة تقرّب لنا اجتناء اكليل الظفر

(١ Y. W, Gambiers : *La situation présente et les visées de la Papauté*

فانّنا مع ذلك لفرغون جهدنا (والاتكال على الله حليفنا) في بثّ بشارة الانجيل موقنين ان انكلترة تصبح كاثوليكية في خلال جيل (١ »

وفي رسالة حديثة سطّرها الكردينال عينهُ الى حضرة الاب راجي الفاضل جاء ما يلي: « ان انكلترة قد اهتدت نصفها. ولايضاح فكري هذا اقول: ان العقول قد قطعت نصف المرحلة التي تفصلها عن الوحدة الكاثوليكيّة. فلنا رجاء عظيم ان الاهتداءات ستتكاثر عددًا في كل الشيع الابروتستانيّة ولاسيما في طبقات الكنيسة العليا فيما بين الرتواليست اي الطقسيّين (٢ »

ولله درّ الكردينال مانين حيث قال: « ان الكنيسة الانكليكانيّة ليست حتمًا بشيء. ما لم تصبح كاثوليكية وتقرّ بجوهر العقائد الرومانيّة. وهذا ما رسخ في العقول السامية أثرهُ فأيّدهُ بارائهم السديدة بعض زعماء الاكليروس الانكليكاني... وما نراهُ من مشاهد التقوى وعلامات المحبة والموالاة بينهم قد غرس في قلوبنا الامل برجوعهم الى الكنيسة الحقيقية... (٣ »

واردف كلامهُ بقولهِ: « حقًّا انهُ لم ينشأ منذ الاصلاح وليس في هذا الامر ادنى ريب ميلٌ في الكنيسة الانكليكانية الى كنيستنا كالذي نراه في زماننا هذا. فان قطوب انكلترة قد تغيّرت بنوع ما والانهار التي كانت تجري شمالًا اخذت تنصبّ جنوبًا »

وقد لاحت بوارق هذه البشرى لمدير جريدة مُنث (الشهر) الانكليزيّة فبثّها قرّاءهُ بقولهِ: « ان اعظم حاجز يحول دون دخول انفس عديدة الى حظيرة الكنيسة انّما هي الكنيسة الرسميّة الملكيّة. بيد ان هذا الحاجز قد ضعفت قواعده وتضعضعت دعائمه فكاد جزءُهُ ينهار على مرأى ومَن رِضى الانكليكانيين انفسهم (٤... وقد خاض

— cf L'abbé de Madaune: *la ren. du cathol. en Angleterre*, page 639 etc.

١) راجع ايضًا Bossuet: *Variations, liv. VII*

٢) راجع C. Vaughan: *Lettre au R. P. Ragey* (Avenir de l'Angleterre) page XXVI

٣) Manning: *England and Christendom*, Introduct., page XLII

٤) راجع cf. Thureau d'Angin, ibidem 51, 52, 53.

اصحابه غير مرّةٍ في وجوب فصل الكنيسة عن المُلك اسّ هذا الحاجز وركنه (le desétablissement) وهذا الخاطر وان لم يكُ الّا فطيرًا فلا يبعد ان يُتمّ نضجهُ. فعندئذٍ يهوى عن حالق صَرح الكنيسة الانكليكانيّة وتتناثر موادّهُ وتنحل عناصرهُ. فيتقاطر كثيرون ممّن لاذوا بجاه الى تلك الصفاة السريّة الخالدة التي أسّس عليها السيد المسيح كنيستهُ (١»

وقد ذهب مذهبهُ وارتأى رأيهُ الكردينال ڤون في رسالته السابقة الى حضرة الاب راجي فاثبت « ان جوهر الاصلاح الموهوم قد عرتهُ دودة الفساد فاخذت تعاليمهُ تنحل في المعمور كله. وان رأيت الانكليز مصرّين على مبادئهم اللوترانيّة فهذا القلق ليس بصادر عن ادراك تامّ وبرهان واضح بل غالبًا عن اهواء شخصيّة وتقاليد وطنيّة شيعيّة. على ان كل من اكتحل بإثمد العقل والعلم يشهد ان العالم الديني ينقسم الى شطرين: الكثلكة او عبادة الله بالقلب والروح ثم عبادة العقل. وسيبدّد نور الجيل التابع كل ديانة توسطت بينهما...» ومنها ايضًا اقتطفنا ما يأتي: « ان فشل التعاليم الابروتستانية وعدم رواج بضاعتها لهو للكاثوليكيين سبب رجاء وطيد. فان النفس البشريّة هي بالطبع مسيحيّة ميّالة بنوع جليّ الى الكنيسة المقدّسة » (ستأتي البقيّة)

كتاب النّخل والكرم للاصمعيّ

سعى بنشرهِ وتعليق حواشيهِ الدكتور اوغست هفنر

مقدّمة

يذكر قرّاؤنا انّ الدكتور اوغست هفنر نزيل كليّتنا قبل ثلاث سنوات كان مغرمًا بآثار العلّامة اللغويّ ابي سعيد الشهير بالاصمعيّ فنشر منها في المشرق (١: ٢٤ و٤٠٦ الخ) كتاب الدارات وكتاب النبات والشجر. وبينما كان يقلّب مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة وقع نظرهُ على كتاب كنّا استنسخناهُ في دمشق الفيحاء عن نسخة مصونة في خزانة كتب الملك الظاهر وهو كتاب الجراثيم لابن قتيبة فوجد بين فصولهِ كتاب النّخل والكرم للاصمعيّ فاحبّ ان ينشرهُ مع تعليق بعض شروح لغويّة عليهِ نقلًا عن معجمات العرب لاسيّما اللسان. وحتّى الآن لم تسمح لنا كثرة الموادّ بنشر هذا الاثر الجليل في المشرق. فنترفُهُ الى قرّائنا في اوان الرُّطَب والعنب بعد ان قابلناهُ

---

١) راجع (The Month, *May* 1892 p. 42)

بالتدقيق على النسخة الاصليّة في سياحة حديثة رحلنا فيها الى عاصمة ولاية سوريّة. وننتهز هذه الفرصة لنقدّم لمن يتولّون نظارة مكتبة الملك الظاهر شكرنا الحميم على ما عوّدونا عليهِ من اللطف والمجاملة جازى الله خيرًا كلّ محبّي العلم وخدمتهِ ل. ش.

كتاب النَّخْل والكَرْم (* (ص ٢٦١)

النَّخل

من صغار النَّخل الجَثِيث (١ وهو اوَّل ما يطلع من أمّهِ (٢. وهو الوَدِيُّ (٣ والهِرَاء (٤ والفَسِيل (٥ * واذا كانت الفسيلة في الجِذْع ولم تكن مستأرضة فهو من خَسيس النَّخل والعرب تسمّيها الرَّاكِبَ (٦ * فاذا قُلِعت الوديَّة من امّها بكَرَبِها قيل وديَّة مُنْعَلَة (٧ * فاذا غرسها حفر لها بئرًا فغرسها (ص ٢٦٢) ثمّ كبس حولها بتَرْنوق المَسِيل (٨ والدِّمن فتلك البئر

*) هذا الفصل ورد في النسخة الدمشقيّة من الصفحة ٢٦١ الى ٢٩٢. وليس في اوّل الفصل ذكر اسم الاصمعيّ لكنَّ صاحب لسان العرب قد نقل كثيرًا من هذا الكتاب بحرفهِ الواحد وهو يعزوهُ مطلقًا الى الاصمعيّ فلا نتمارى في نسبتهِ اليهِ

---

١) قال ابو عمرو: الجثيثة النخلة التي كانت نواة فحُفر لها وحُملت بجرثومتها. وقال ابو حنيفة: الجثيث ما غُرس من فراخ النَّخل ولم يُغرس من النوى

٢) وفي رواية لسان العرب: اوّل ما يُقلع منها شيء من امّهِ

٣) وفي الاصل: الوذيّ بالذال وهو غلط. والوديّ صغار النخل. قال في اللسان: وقيل تجمع الوديَّة ودايا

٤) قال اللسان: الهِراء فسيل النَّخل

٥) الفسيلة الصغيرة من النَّخل والجمع فسائل وفسيل. وفُسلان جمع الجمع عن ابي عبيد

٦) قال صاحب اللسان: الراكب النخل الصغار تخرج في اصول النَّخل الكبار. (قال) الراكب والراكبة فسيلة تكون في اعلى النخلة متدلّيةً لا تبلغ الارض. وفي الصحاح: الراكب ما ينبت من الفسيل في جذوع النخل وليس لهُ في الارض عِرقٌ... وقيل فيها الراكوب وجمعها الرواكيب

٧) وقال الطوسي: بل انَّ الوديَّة المُنْعَلَة التي تُقلع مع كَرَبة من امّها

٨) هذا الصواب كما ورد في لسان العرب. وفي الاصل: بترنوق الفسيل. وتُرنوق المسيل طينهُ

هي الفَقِيرُ (١ . يقال : فَقَّرْنا للوديّة تفقيرًا * والأشا من صغار النخل

ومن نعوت سَعَفها وكَوْنها وقَلْبها (٢ يقال للفسيلة اذا اخرجت قَلْبها : قد أَنسَغَت (٣ . ويقال للسَّعَفَات اللواتي يلين القُلْبَة ، العَوَاهن ، في لغة اهل الحجاز (٤ امّا اهل نجد فيسمُّونها ، الخوافي ، * واصول السَّعف الغلاظ الكَرَانيفُ الواحدة كِرْنافة * والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي الكَرَبة (٥ * وشحمة النَّخلة هي الجُمّار (٦ * فاذا صار للفسيلة جذع قيل : قد قَعَدَت (٧ . وفي ارض بني فلان من القَاعِد كذا وكذا * والسَّعَف هو الجَرِيد عند اهل الحجاز واحدتهُ جَرِيدة * وهو الخُرْص وجمعهُ خِرْصان * والخُلْب (٨ الليف واحدتهُ خُلْبة

ومن حَمْل النَّخل وسقوطه : المُهْتَجَنة (٩ التي تحمل وهي صغيرة * فان حملت سنة ولم تحمل سنة (ص ٢٦٣) قيل : قد عَاوَمَتْ وسَانَهَتْ (١٠ * فاذا

---

١) قال الجوهري : الفقير حفير يُحفَر حول الفسيلة اذا غُرِست . وقيل فقير النخلة حفيرة تُحفر للفسيلة اذا حُوِّلت لتُغرس فيها

٢) سعف النَّخلة اغصانها واكثر ما يُقال اذا يبست واذا كانت رطبة فهي الشطبة . وقُلْب النخلة مثلَّثة القاف لبُّها وشحمتها وهي هنةٌ رخصة بيضاء تُنزَع فتؤْكل

٣) وفي الاصل : أنسعت بالعين وهو تصحيف

٤) وجاء في اللسان : ومنهُ سُمّيت جوارح الانسان عواهن

٥) كلُّ هذا ورد بالحرف في لسان العرب منسوبًا الى الاصمعي

٦) واحدتها جُمَّارة قال في اللسان : هي شحمة النخل التي في قمّة رأسه تُقطع قمّتهُ ثم تُكشط عن جُمّارة في جوفها بيضاء كانها سنام ضخمة وهي رَخْصة تؤْكل بالعسل . والكافور يخرج من الجُمَّارة بين مشقّ السَّعفتين وهي الكُفُرَّى . والجامور كالجُمّار

٧) قال في اللسان : القَعَد النخل وقيل النخل الصغار وهو جمع قاعد . كما قالوا خادم وخَدَم . وقَعَدَت الفسيلة وهي قاعد صار لها جِذع تقعدُ عليه

٨) الخُلْب لبُّ النخلة وقيل قلبها . والخُلُب مُثقَّلًا ، ومخفَّفًا الليف

٩) وهي الماجنة ايضًا

١٠) اشتقاقًا من العام والسَّنة

كثر حَمْلُها قيل: قد خَنْتَكَتْ (١ * فاذ نَفَضَتْهُ بعد ان يكثر حَمْلُها قيل قد مَزَقَتْ وقد اصاب النَّخْلَ مَرَقٌ (٢ * فاذا كَثُرَ نَفْضُها وعَظُم ما بقي من بُسْرِها قيل: قد خَرْدَلَتْ فهي مُخَرْدِل (٣ * فان انتفض قبل ان يصير بَلَحًا قيل: قد اصابهُ القُشام (٤ * فاذا وقع البَلَح وقد استرخَتْ ثَفاريقُهُ ونَدِي قيل: بَلَحٌ سَدٍ. وقد أَسْدَى النخل (٥ والثُّفروق قِمع البُسْرة والتَّمْرة. ويقال: هو السَّدَى والواحدة سَدِيَةٌ. ويقال الثُّفروق ما يلتزق بهِ القِمع من التمرة

ومن طَلْعِهِ وإدراكِ تَمْرِهِ الطَّلْعُ وهو الكافور. وكذلك التي تُتَّخذ من الطيب (٦. ويقال: هو الكافور والضَّحْك حين ينشقّ (٧. ويقال: الكافور وعاء طَلْع النخل. ويقال لهُ ايضًا قَفُّور (٨ * فاذا انعقد الطَّلْع حتى يصير بلحًا فهو السَّيَاب (مخفّف) والواحدة سَيَابة (٩. ويقال: وبها سُمّي الرَّجُل * فاذا اخضرَّ واستدار قبل ان يشتدّ فاهل نجد يسمّونهُ الجَدَال (١٠ * فاذا عَظُم فهو البُسْر (١١ * فاذا صارت فيهِ خطوط وطرائق فهو المُخَطَّم (١٢ * فاذا تغيّرت

---

١) كذا في الاصل وليس لخَنْتَك في كتب اللغة ذكر

٢) كذا الصواب وفي الاصل: مَزَقَت... مَزَق. وهو تصحيف يقال مَرِقَت النخلة وأمرقت اذا سقط حملُها بعد ما كبر والاسم المَرَق

٣) ومخردِلة ايضًا

٤) رُوي في الاصل «قسام» بالسين وهو غلط

٥) كلُّ رطبٍ نَدٍ فهو سَدٍ حكاهُ ابو حنيفة. واسدى النخل اذا سَدِي بُسْرُهُ (اللسان)

٦) قال في اللسان: والكافور أخلاط تُجمع من الطيب تركَّب من كافور الطَّلْع.

٧) قال اللسان: والضِّحك طَلْع النخل حين ينشقّ

٨) قال الازهريّ: وكذلك الكافور الطيّب يقال لهُ قَفُّور

٩) امّا ابو حنيفة فقد دعا السَّيَاب البُسْر الاخضر

١٠) جاء هذا في اللسان بحرفهِ عن الاصمعيّ. ثمّ زاد ولعلّهُ سقط من الاصل: واذا اخضرَّ حبُّهُ واستدار فهو خَلَال *

١١) بُسْر وبُسُر وبُسْرات وبُسُرات

١٢) وعن كُراع المُخَطِّم بالكسر

البُسْرة الى الحمرة قيل: هذهِ شُقْحَةٌ وقد اَشْقَحَ النخلُ * فاذا ظهرت فيهِ الحمرة قيل: اَزْهى النخلُ(١ * وهو الزَّهو (ص ٢٦٤). وفي لغـةِ اهل الحجاز الزُّهو * فاذا بدت فيهِ نُقط من الارطاب قيل: قد وَكَّتَ وهي بُسْرة مُوَكِّتة * فاذا اتاها التوكيت من قِبَل ذَنَبها قيل: قد ذَنَّبت وهي مُذَنِّبَة. والرُّطَب التَّذْنُوب * واذا دخلها كلَّها الارطاب وهي صُلْبَة لم تنهضم فهي جُمْسَةٌ وجمعُها جُمْس (٢ * فاذا لانت فهي ثَمْدَة والجمع ثَمْد * فاذا بلغ الارطابُ نصفَها فذلك المُجَزِّع (٣ * فاذا بلغ ثُلُثَيها فهي حُلْقَانة وهو مُحَلْقِنٌ * فاذا جرى الارطاب فيها كلّهـا فهي المُنْسَبِتَة وهو رُطَب مُنْسَبِت (٤ * فاذا اَرطَب النخل كلُّهُ فذلك المَعْو يقال منهُ: اَمْعَت النَّخلة * فاذا بلغ الطَّلْع فهو الغَضِيض (٥ * واذا اخضرَّ قيل: قد خَضَبَ النخلُ وهو البَلَح * واذا اَدرَكَ حملُ النخلة فهي الإناض (٦ * فاذا ضُرِب العذقُ بشَوْكَةٍ فأرطب فذلك المنقوشُ والفعل منهُ النَّقْش (٧ * فاذا بلغ الرُّطَبُ اليُبْسَ فذلك التَّصليب وقد صَلَّبَ * فان وُضع في الجِراب فصُبَّ عليهِ الماء فذلك الرَّبِيط * فان صُبَّ عليهِ الدِّبْس فهو المُصَقَّر (٨. والدِّبْس تسمّيهِ اهـل

---

١) كلُّ هذا منقول بالحرف عن الاصمعيّ في لسان العرب

٢) وفي الاصل: خُمْسَة وخُمْس: وكلاهما مصحَّف. ثمَّ انَّ هذا وما يأتي كلّهُ مرويٌّ عن الاصمعيّ في اللسان

٣) يقال مجزِّع ومجزِع ومتجزِّع

٤) قال صاحب اللسان. انسبتت الرُّطَبة اي لانت ورُطَبة مُنْسَبِتة ليّنة. عمَّها الارطاب

٥) وفي اللسان عن الاصمعي: فاذا بدا الطلع فهو الغضيض

٦) يقال اناضَ النخلُ يُنيضُ اناضةً اي اَيْنَعَ

٧) روى اللسانُ كلَّ ما سبق بالحرف مع نسبتهِ الى الاصمعي

٨) قال في اللسان: المصقَّر من الرُّطَب المصلَّب يُصَبّ عليهِ الدبس ليلين. والفعل التصقير

المدينة الصَّقْر * فان غُمَّ (١ ليُدرِكَ فهو مَغْمور ومَغْمول (٢ وكذلك الرجل تُلقَى عليهِ الثياب ليَعرق وهو مغمول (ص ٢٦٥) * الثَّالِبُ البُسر في لغة بَلحرث بن كعب يقال منهُ: قلَبَتِ البُسْرة تَقلِبُ اذا احمرَّت * فاذا ابصرتَ فيها الرُّطَب قلتَ: قد اَضهَلَت اِضهالًا (٣ * والقَشْم والقِشْم البُسر الابيض الذي يؤكَل قبل ان يُدرِك وهو حُلو * واذا كثر حملُ النَّخلة قيل: قد اَوسَقَت. يعني انها حملت وَسْقًا وهو الوِقر * ويُقال: اَفضَخَ (٤ النَّخل اذا احمرَّ واصفرَّ.

ويقال من تغيُّر تَمرِهِ وفسادِهِ: اذا اَنسَنَت النخلة عن عَفَن وسواد قيل: قد اصابهُ الدَّمان وقيل الاَدْمان (٥ * وان لم تقبل النخلة اللَّقاح ولم يكن للبُسر نوًى قيل: قد صَأْصَأَت النخلة (٦ * فان غلظ التَّمر وصار فيهِ مثل اَجنحة الجراد فذلك القَفَا. وقد اَقفَتِ النخلة * ويقال للتَّمر الدَّمال * الصِّيص والخَشْوُ جميعًا الحَشَفُ في لغة بَلحرث بن كعب. وقد خَشَت النخلة تخشُو خَشْوًا * ويقال للتَّمر الذي لا يَشتدُّ نواهُ: الشِّيشاء (ممدود) وهو الشِّيص قال:

يا لكِ من تَمْرٍ ومن شِيشاءِ ... يَنشَبُ في المَسْعَلِ واللَّهاءِ

(احتاج الى مدّ اللَّها فمدَّهُ (ص-٢٦٦) ويُروى اللِّهاء بكسر اللام جمع

---

١) غَمَّهُ اي غطَّاهُ. وفي الاصل عُمَّ بالعين. والصواب بالغين كما ورد في اللسان

٢) ويروى: مغمون ايضاً بالنون

٣) اضهل البُسر اذا بدا فيهِ الارطاب (اللسان)

٤) وفي الاصل صُفِح بافضَحَ

٥) رُوي في اللسان عن ابن ابي الزناد

٦) قال في اللسان: وقيل صأصأت النخلة اذا صارت شيصاء. وقال الاموي في لغة بلحرث ابن كعب الصيص هو الشيص عند الناس

مثل أضى وإضاء جمع أضاة)١ . واهل المدينة يسمّونه السَّخَل وقد سَخَّلت النخلة)٢

ومن صراحه ولَقاحه اذا ألقح الناسُ النَّخلَ قيل : قد جَبُّوا . وقد اتى زمان الجِباب * أبَرْتُ النَّخلَ آبُرُه وأبَّرْتُه اذا اصلحتُه . ومنه قول طَرَفة :

وليَ الأصلُ الذي في مثلِهِ يُصلِحُ الآبِرُ زَرْعَ المؤتَبِرْ

واهل المدينة يقولون : كنّا في العَفَار اذا كانوا في إصلاح النَّخل المؤتبر وتلقيحه * فاذا صُرِم النَّخل فذلك القَطاع والجِزاز والجِذاذ والجِرام (قال الكسائي : في هذا كلّه بالفتح والكسر) * صرمتُ النخلَ وجرمتُه واجترمتُه اذا جززتُه

ومن نعوت طولها : اذا صار لها جِذعٌ يتناول منهُ المتناول فتلك النخلة العَضيدُ * فاذا فاتت اليدَ فهي جبّارةٌ)٣ * فاذا ارتفعت عن ذلك فهي الرَّقْلة وجمعُها رَقْل ورِقال . وهي عند اهل نجد العَيْدانة)٤ * واذا طالت ولعلَّ ذلك مع انجراد فهي سَحُوقٌ)٥ وهن سُحُق * الصَّوْر)٦ النخل المجتمع الصغار والطوال

ومن نعوتها في حملها : اذا كانت تُدرك في اوّل النَّخل فهي البَكُور)٧ وهنَّ البُكُر * والمُبْتِل الأمّ يكون لها فسيلة وقد انفردت واستغنت عن امها

١) كذا في اللسان وهو اصح من رواية الاصل المصحَّفة

٢) في اللسان سَخَلت النخلة اذا حملت شيصاً (عن اهل الحجاز)

٣) وفي الاصل : حبّارة وهو تصحيف

٤) جاء في اللسان : هذه ترجمة انفرد بها ابن سيدة وحدهُ قال : العَيْدانة الطول ما يكون من النخل ولا تكون عَيْدانة حتّى يسقط كَرَبُها كلُّهُ ويصير جذعها اجرد من اعلاه الى اسفله عن ابي حنيفة

٥) السحوق الطويلة التي بَعُد ثمرُها على المجتني

٦) جمعهُ صيران على غير لفظهِ

٧) وهي البكيرة ايضاً والباكورة

ويقال لتلك الفسيلة البتول * والبكيرة مثل البكور * المِلاخ التي نبتت بواسرها (١ * والخضيرة التي نبت بسرها وهو اخضر (ص ٢٦٧) * المِنجار (٢ التي يبقى حملها الى آخر الصرام

ومن اجناسها الخِصاب وهو النّخل الدّقل الواحدة خصبة * ويقال للدّقل الألوان واحدها لون * ويقال لمخلها الرّاعِل . والرِّعال الدّقل الواحدة رَعلة * وكلّ لون لا يُعرف اسمه فهو جَمع يقال: قد كثُر الجمع في ارض فلان لنخل تخرجُ من النوى * والطَّرق (٣ ضربٌ من النّخل . اقول هو الذي يكون على سطر واحد

ومن عيوبها اذا صغر رأس النّخلة وقلّ سَعفُها فهي عَشّة وهنّ عِشاش (٤ * فاذا دقّت من اسفلها وانجرد كَرَبُها قيل: قد صَنبَرت (٥ * واذا مالت فبُني تحتها دكّان تعتمد عليه فتلك الرُّجبة (٦ والنّخلة رُجبيّة * فاذا يبِسَت قيل: قد صوَت تَصوي (٧ فهي صاوية

ومن عذوقها ونعوتها: العَذق عند اهل الحجاز النّخلة نفسها . والعِذق القِنو الذي يقال لهُ الكِبَاسة . وهو القَنَا (مقصور) ايضًا . فمن قال «قِنو»

---

١) كذا في الاصل: وفي لسان العرب: المِلاخ التي ينتثر بُسرها وهو اخضر. وكذا شرح ايضًا الخضيرة

٢) كذا في الاصل: ولم نجد للمنجار ذكرًا في كتب اللغة ولعلّها تصحيف مِئجار

٣) قال في اللسان: الطَّرق النّخلة في لغة طيّئ عن ابي حنيفة . والطريق ضربٌ من النخل وهو اطول ما يكون منهُ بلغة اليمامة . ونخلة طريقة ملساء طويلة

٤) يقال عشّشت النخلة اذا قلّ سعفُها ودقّ اسفلُها

٥) قال ابو عبيدة: الصُّنبور والصُّنبورة النخلةَ تبقى منفردة ويدقّ اسفلُها وينتثر ويقلّ حملُها

٦) ويقال الرُّجمة ايضًا بالميم. يقال رجّب النخلةَ اذا بنى تحتها دكّانًا تعتمد عليه لضعفها يفعلون ذلك للنخلة الكريمة

٧) والمصدر صُويًّا . قال ابن الانباري: الصَّوَى في النخلة مقصور يُكتب بالياء

قال للاثنين قِنوان والجمع قِنوان. ومن قال • قَنا • قال لجمعهِ اَقناء * وقال لعود الكباسة العُرجون والاهان * والشِمراخ هو الذي عليهِ البُسر. واصلهُ العِذق ويقال لهُ الشُمروخ والإثكال والأُثكول والعِثكال والعُثكول (١ (ص ٢٦٨) * المِطو الشمراخ وجمعهُ مِطاء (٢ * والكِناب الشِمراخ * ويقال لهُ ايضًا الماسي * والبِرْدام العِذق الذي لا يكون فيهِ الشماريخ * المُشكَّل العِذق ذو العَثاكيل. والعَثاكيل جمع عُثكول * والذَّبخ قِنو النَّخلة جمعهُ ذِبَخَة

ويقال في اعرائها ورفع تمرها بعد الصرام: قد اَستَعرى الناسُ في كلّ وجهٍ اذا اكلوا الرُّطب اخذهُ من العَرايا (٣ *. وقد استحيا (٤ النَّاسُ في كلّ وجهٍ إذا أكلوا الرّطب * * ويقال للموضع الذي فيهِ التَّمر اذا صُرم المِرْبَد. وربَّما خشوا عليهِ المطر فيُجعل في المِرْبَد جُحْر ليسيل منهُ ماء المطر واسم ذلك الجُحْر الثَّعلَب (٥. واهل نجد يسمُّون المِرْبَد الجرينَ ويسمّيهِ بعض من يلي اليمامة المِسْطَح (٦

ومن نعوتها في شربها ونباتها الكارِعات والمُكْرِعات التي على الماء * والنَّاديات البعيدة عن الماء * النخل المُنبَّق المصطفّ على سطرٍ مستوٍ

ومن جماعاتها: الصَّوْر جماعُ النخل ومثلهُ الحايِش ولا واحد لهما من

١) قال في اللسان: الهمزة في اثكول بدل العين وليست زائدة. والجوهريّ جعلها زائدة
٢) قال ابو حنيفة: المَطْوُ والمطو عذق النَّخلة
٣) العرايا جمع عريَّة النَّخلة المعراة يقال اعراهُ النخلة اذا وهبهُ ثمر عامها
٤) كذا في الاصل ولا اثر لاستحيا في هذا المعنى بالمعجمات المطوَّلة
٥) قال في اللسان: الثعلب مخرج الماء من جرين التمر
٦) المسطح بفتح الميم وكسرها مكان مستوٍ يُبسَط عليهِ التمر ويُجفَّف

لفظهما (كما ان الرَّبْرَب لا واحد له وهو قطيع البقر وكذلك الابل). ومما يُزرَع فيه ويُغرس الجِرْبَة وهي المزرعة * والدِّبار (ص ٢٦٩) المَشارات (١ واحدها دَبْرَة. والحقل مثله والمحاجر واحدها مَحْجِر (٢ * المَشارِب (٣ المراعي * سَبَلُ الزرع وسُنْبُله سواء. وقد سَنْبَلَ وأَسْبَلَ

(تمَّ باب النخل ويليه باب الكرم)

الاديار القديمة في كسروان

لحضرة الاب الفاضل ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني (لاحق بسابق)

مكتبة دير مار شليطا

بعد ان تكلمنا عن الكتب التي وقعت بين ايدينا مما نسخهُ سكان الدير في عصر البردوط سركيس يجدر بنا ان ننتقل الى ذكر بقايا الكتب التي احضرها الدويهي ومن خلفهُ من البطاركة الى مكتبة هذا الدير وهذه الكتب هي في عداد آثاره الادبية

من طالع مؤلفات العلامة الدويهي الطقسية والتاريخية وامعن النظر في غزارة مادتها وما اقتضى لمؤلفها من البحث والتنقيب والتنقير في إسناد كل ما كتبهُ الى اقوال العلماء والمؤرخين يتبادر تصورهُ فيحكم ان علامتنا قد احضر لغرضهِ مجلدات عديدة من كتب طقوسنا القديمة الى غير ذلك من المؤلفات ووضعها في دير مار شليطا اذ قضى فيهِ كل حياتهِ لاننا نعلم من ترجمتهِ انهُ غادر قنوبين على ما يُظنّ في السنة الثانية لبطركيته وبنى محلاً للبطاركة في مار شليطا سنة ١٦٧٢ كما رأيت واستمر في هذا الدير

١) قيل المشارة البقعة التي تُزرع وقدرها جريب
٢) الحَجر الحديقة ٣) قال في اللسان: المشربة ارضٌ لينة لا يزال فيها نبتٌ اخضر ريان وجمعها مَشْرَبات ومشارب

الى سنة وفاته ١٧٠٤ فغــادر مار شليطا عائدًا الى كرسيهِ وما كادت رجلهُ تطأ عتبة قنوبين حتى وافاه الاجل وضُمَّ الى سلفائهِ البطاركة في مقبرة القديسة مارينـا كما كان يتوق لذلك مرارًا

وهذه الكتب كانت دون ادنى شكّ عديدة فاخذ العلاّمة السمعاني منها قسمًا عظيمًا الى رومية (١ وما تبقّى تناقلتهُ الايدي واكبر دليـل على ذلك انني عثرت في اديرة مختلفة وعند اشخاص خصوصيين على بعض هذه الكتب محرَّرٌ على هامشها او على صفحاتها الاخيرة أنّها من كتب او مكتبة مـار شليطا. ثم ان البطريرك يعقوب عوّاد الذي سكن هذا الدير مدة من سنة ١٧٠٦ الى سنة ١٧٣٣ وتوفي ودُفن فيهِ قد زاد في رونق المكتبة ايضًا. ولكن الفضل للمتقدّم فان اكثر هذه التآليف من فضل عناية الدويهي ولذا قلما ترى كتابًا في المكتبة الّا وقد خطَّت يدهُ الكريمة بعض اصلاحات عليهِ ولذا حقٌّ بنا القول ان مكتبة مار شليطا هي من جملة مآثر الدويهي الادبيـة في هذا الدير ولنسرد الآن فهرست ما بقي من هذه الكتب وما عثرنا عليهِ بالعرض خارج المكتبة في محال مختلفة متّبعين في ذلك تاريخ نسخ الكتاب وبعد ان نصف على كلّ منها ننقل الحواشي التاريخية العالقة عليهِ التي لا تخلو من بعض الفائدة فان التـاريخ على ما قال الخطيب الروماني هو مرآة الاجيال الخوالي

١ ان اقدم كتاب عثرنا عليهِ من بقايا هذه المكتبة العهد الجديد بالسريانية نُسخ سنة ١٦١٣ للاسكندر الموافقة لسنة ١٣٠٢ م

قال العلاّمة الدويهي في تاريخهِ المطبوع (صفحة ١٣٩) في ايرادهِ حوادث سنة ١٤٧٠ في معرض كلامهِ على نسّاخ ذاك العصر: «وفي ذلك الوقت اهملوا الخطّ الاسترنكالي المربّع وتمسكوا بالسرياني المدوَّر» وهذا الكتاب من حيث الخط هو مثـال حسن

١) من التقليد النقلي ان البطريرك يوسف اسطفان احضر مجلدات عديدة ايضًا من عـدة المكتبة الى دير الطفل الالهي الذي بناه في حصن غوسطا من إحسان الملك لويس الخامس عشر سنة ١٧٦٩ وحتّى الآن شعار هذا الملك معلّق على جدار الكنيسة ولمّا ان نُكب البطريرك بطوارق الحدثان ونُفي الى الكرمل تلاعب اخصامه بمكتبته وتشتتت وتفرقت في كل وادٍ وما كان باقيًا منها بعد عودته من الكرمل ذهب فريسة الضياع عقيب الاختلاف الذي وقع بين عائلة بيت اسطفان وعائلة التيني في غوسطا على حقوق الولاية على دير الحصن في هذه القرية

للانتقال التدريجي من الخط الاسترنكالي او السطرنجيلي الى الخط المدوَّر ولذا رأينا ان ننقل بالرسم صورتين منهُ الاولى تدل على الخط المدوَّر المشوب بالاسترنكالي والاخرى تصوّر الاسترنكالي المهجور حديثاً

ولسوء الحظ قد فُقدت اوراق هذا الكتاب الاولى وفُقد ايضاً القسم الاخير منهُ غير انهُ من حسن الطالع عثرنا في آخر انجيل يوحنا على كتابة بديعة علّقها الناسخ بالخطّ الاسترنكالي بيَّن فيها تاريخ النسخ وموطنه ولم يتحفنا باسمهِ تواضعاً على عادة النسَّاخ الاقدمين وتحرير هذه الكتابة السريانيَّة التي علّقها الناسخ بخطّ يدهِ والتي تراها منقولة بالرسم امامك هو :

« انهُ في سنة ١٦١٣ يونانيـة كمل او نجز هذا الكتاب الانجيل المقدَّس لربنا يسوع المسيح الذي تكلَّم بهِ وانذر به وبشَّر بهِ الانجيليون الاربعة الحقون متَّى ومرقس ولوقا ويوحنا لتكن الرحمة علينا بصلواتهم وكُتب بايدي انسان حقير وخاطئ ومسكين ومجرمٍ ومذنب ساكن بجبل لبنان في القرية المدعوَّة حصرون ذاك الذي لاجل كثرة خطاياه لا يُستطاع ان يكون لهُ اسمٌ في هذا الكتاب غير انني اطلب من كل اخٍ مؤمن [يجدهُ او يطالع فيهِ او يستفيد منهُ (حرفيًّا يتكذَّى) ان يصلّي عني وعن والديَّ لاجل المسيح والصلوة تكون مناصفةً وكل انسان يجازى حسب صلوتهِ في يوم الدين ان صالحة او طالحة . اللهمَّ ترأف على حقارتي في يوم القضا ليغفر الرب للكاتب وللقارئ وللمالك وللمقتني ولمن قال امين . يترأف على الخاطئ الكاتب . المجد للآب الذي اعتنى وللابن الذي ساعد وللروح القدس الذي ابتدأ وكمَّل منا . ليكن اسم الرب مباركاً الى ابد الابدين] »

انتهت ترجمة الكتابة السريانيَّة التي علّقها الناسخ واتبعنا في ترجمتها الحرف وامَّا ما تراهُ في ذيل الصفحة التي نقلناها بالرسم من الخط العربي فهو حديث العهد حرَّرهُ احد المطالعين المتأخرين وهو ترجمة الكتابة السريانية ولكنها متسعة لم يراع فيها المترجم الحرف والدقّة .

٢ الكتاب الثاني هو عبـارة عن فرض القديسة مرت مورا بالسريانية نُسخ سنة ١٤٦٨ واول عبـارة من هذه الصلوة هي : ܐܒܘܢ ܠܟ ܩܘܠܐ ܕܚܢܢ ܘܡܫܒܚܝܢ ܫܘܒܚܐ ܘܫܘܒܚܐ ܠܡܫܝܚܐ . ومنها يظهر ان المراد من القديسة مورا هنا تلك التي استشهدت مع زوجها تيموثاوس في ايام الملك دِقيوس قيصر وتذكارهـا في سنكسارنا في اليوم

١) ما جعلناهُ بين معكَّفين ورد في ورقة ثانية لم تُرسَم في المشرق

الثالث من شهر أيار. ومن المعلوم انهُ قد أُقيم من قديم الزمان معابد جمَّة في طائفتنا على اسم هذه القديسة منها مرت مورا في اطلال قرية بقوفا شرقي اهدن. ومعبد آخر على اسما غربي اهدن فوق قرية عينطورين ولها معبد آخر في قرية كفر سغاب في محلَّة تسمَّى كفربيتا شرقي القرية وهي كنيسة صغيرة قائمة حتى يومنا حذاءها نبع الغاب الشهير الكبير يصبّ على مطحنة. ولها معبد آخر ايضًا في مقاطعة عكَّار المدعوة شفت عكار في الشمال الشرقي من قرية بقرزلا. وحول هذا المعبد اشجار من السنديان قديمة الأيَّام وتحته لجهة الشمال الغربي عين ماء ذات جودة يفتسل بمائها من اقسم باسم القديسة قبل انشاء القَسَم وهذا المعبد مشيَّد في سفح جبل بقرزلا وهو عبارة عن خربة لم يبقَ منهُ سوى حنيَّة المذبح وهي من الطرز القديم

ولهذه القديسة معبد في قرية رشعين على ضفة نهر رشعين الجنوبية غربي القرية جدده حديثًا رجل يدعى جريج زيدان. ولها معبد صغير في قرية بنشعي من قرى الزاوية لجهة الشمال الغربي من قرية سبعل والمعبد مشيد في سفح جبل شمالي القرية وهو قائم الى الآن وفيهِ حنية من الطرز القديم

ولها معبد في مزرعة ريش طعموت من مزارع الجبة وهذه المزرعة هي قبالة قرية مزيارة والمعبد حديث كبير على الطرز الحديث. ولها مذبح في كنيسة دير مار اليشاع القديم المشيد في سفح الوادي المقدَّس

واكثر هذه المعابد عريقة في القدم وحولها اشجار من السنديان قديمة الأيَّام لا تمسُّها آلة قطع وهيئة هذه الابنية قديمة ممَّا يدل على قدم اكرام هذه القديسة في طائفتنا

وناسخ الفرض المقدَّم ذكره ابراهيم الاهدني. وعلى ذيل الصفحة الاخيرة باحرف عربية هذه العبارة مشطوب عليها: «لدير بنات قلب يسوع في بكركي» ممَّا يدل على انهُ من متروكات الراهبة هندية

٣ ان الكتاب الثالث نسخ سنة ١٧٩٣ يونانية (سنة ١٤٨٢ م) وهو عبارة عن كتاب صلوات فرضية بالسريانية يحوي الصلوات التي تقام في الاعياد والتذكارات الآتية: مديح يوحنا. احد قانا الجليل. دخول المسيح الى الهيكل. اثنين القيامة. الاحد الجديد. ناحة يوسف. عيد مار عبداء. الصعود. العنصرة. مار نوهرا. تجلّي السيد لهُ المجد

وفي آخر الكتاب انهُ ملك الخوري يعقوب من قرية حدث الجبة ولا ذكر لاسم الناسخ او المؤلف

٤ الكتاب الرابع نُسخ سنة ١٨٠٦ يونانيـة (١٤٩٥ م) يحوي فرض الشمانين ورتبة الطواف التي تُقضى في احدهِ ثم الصلوة التي تقـام احد القيامة وكلها بالسريانية وفي آخر الكتاب ما يلي بالعربية باحرف سريانية:

« كمل هذا الكتاب باسم خوري ابراهيم ابن دمريم من قرية حصرون سنة ١٨٠٦ يونانية. هذا الكتاب هو برسم كنيسة حلب لجماعتنا السريان سبط الموارنة الساكنين في جبل لبنن (لبنان) المبارك في الاجيال وسابونا الشماس حنا ابن اختي دفع حقّهُ مبلغ خمسين درهم وحقّ الورق عشرة ودرهمين حق خام (لتجليد الكتاب) والحمد لله وحده »

ويلي ما تقدّم كتابة أخرى:

« لمّا كان تاريخ سنة ١٨٢١ من سنين الاسكندر (سنة ١٥١٠ م) قرأ في هـذا الكتاب المبارك الحقير الفقير الخوري يوسف ابن الخوري يوحنا من قرية بشراي الله يغفر لهُ ولوالديه واذ كنّا في حلب بنخدم (١ جماعتنا الموارنة على زمان شيخ التاج كان حاجب في طرابلس الله يعيننا على خطايانا والله يرد غربتنا بصلوات السيدة ام النور وجميع القديسين » انتهى

وممّا يتبادر اليهِ التصور ان العلّامة الدويهي احضر معهُ هذا الكتاب مع غيرهِ من الكتب الآتية لِما هو معلق عليها من الحواشي التاريخية التي تكشف القناع عن تاريخ ابناء طائفتنا في حلب كما سترى

٥ الكتاب الخامس نُسخ سنة ١٥٢٧ م وهو كتاب صلوة فرضية في مديح مريم البتول وعنوانها: « ܡܘܥܕܢܐ ܕܝܠܕܬ ܐܠܗܐ » وفي آخر الكتاب:

« كمل هذا الكتاب المبارك سنة ١٨٣٠ يونانيـة (١٥٢٧ م) على يد الحقير الخاطي ܐܚܠܐ ܕܡܬܩܪܐ ܙܒܠܐ ܕܐܘܪܚܬܐ (٢ واسم الكاتب ܝ.ܘ. ܣܡܟܡ ܘܡܥܝܢܡ ܡܢ ܩܪܝܬܐ ܕܫܪܝܐ

---

١) نخدم ٢) زبل المزابل وغبـار الطرق. ويلي هذه العبارة السريانية عبارات تواضع بالسريانية على طريقة النساخ الاقدمين اضربنا عن ذكرها. ولمّا وصل الناسخ الى ذكر اسمه اشار اليهِ بالعبارة المحررة في المتن ܝ.ܘ. ܣܡܟܡ ܘܡܥܝܢܡ وتحرير اسمهُ يوسف (ܝܘܣܦ) فان حرف (ܣ) يعادل ٦٠ وحرف (ܦ) يعادل ٨٠ وهي فلسفة لا طائل من ورائها

ܚܡܫܡܐܐ ܣܘܪ̈ܝ ܕܥܕܬܐ ܡܫܠܡ ܡܢܣܡ ܡܫܝܚܐ (١ وكان المتي فيها الخوري فرج سدقه (٢ عنهُ وعن اولاده »

وفي آخر الصلوة قبل القراءات المعينة للتذكار من اسفار العهد القديم الكتابة الآتية :

« كان المهتم في هذا الكتاب المبارك الاخ الخوري فرج ابن قزمان من القرية المباركة المحبة للمسيح حصرون واوقفها للقديس مار ايلياس في حارة الجديدة سدقه عن نفسه وارواح والديه ينيح نفسه مع الاباء الصالحين امين امين . ولا لاحد لهُ سلطان ان يغيّره عن موضعه ام يرهنه ام يبيعه يكون القديس مار الياس خصمه . وَاذا عُدم هذا الموضع الذي هو للموارنة وعدموا من مدينة حلب يكون لدير مار جرجس في القدس (٣ ان كان يد الموارنة . وان عدم دير مار جرجس المذكور يكون لدير سيدة قنوبين الذي هو كورسي (كرسي) البطركية هو وجميع الذي في كنيسة مار الياس كتب وعُدَد وفضة وغيره . اذا عدم دير القدس يكون ذلك . وان لم يعدم من يد الموارنة جميع هذا يكون لهُ . وشهد وكتبه الحقير في رؤساء الكهنة المطران انطونيوس (٤ وكان مطران على حلب والشام وجبة بشريه (بشراي) ومحروم من يخالف قولنا » انتهى

ويلي هذه الكتابة كتابة أُخرى على هامش هذا الكتاب وهي باحرف سريانية نوردها بحروفها :

« سنة الف وثمانمائة و٣٨ يونانية (١٥٢٧م) في كانون مضى منهُ ٢٠ في تلك السنة ارتسم الخوري المذكور وابن اخته ارتسموا شدياق وفي . . . (٥ خوارنة وفيها اشترينا الدار الذي بجانب

---

١) من القرية المحبة للمسيح حصرون وكتبه لكنيسة مريم القديسة . ومن المعلوم انهُ كان لطائفتنا في حلب عدا كنيسة القديس الياس كنيسة على اسم السيدة وقد وصف الدويهي في منارته (صفحة ١١٣) قبة مذبح هذه الكنيسة مماً يدل على ان هذه الكنيسة كانت قائمة حتى ايأم زار فيها حلب للانذار كما رأيت في ترجمته

٢) صدقة ٣) طالع الدر المنظوم صفحة ١٤٦ بشأن دير مار جرجس الذي كان يخص طائفتنا في القدس

٤) انظر الدر المنظوم ايضاً في الصفحة ١٥٦وتاريخ العلّامة الدويهي المطبوع صفحة ١٦٥ وسترى حادثة ذهاب المطران انطونيوس الى حلب بشان ارزاق دير قنوبين مسرودة بكتابة من خط المطران المذكور نقلاً عن كتاب من كتب المكتبة كما سترى عن قريب : وهذا الكتاب الاخر هو ايضاً مماً احضره الدويهي من حلب حرصاً على الحقائق التاريخية

٥) الفاظ غير مقروءة

مار الياس وضمنها (أضفناها) للكنيسة وحطو ثمنها . . . (١ وعملوا الافرنج كاس فضة والنبر عملوا صليب وكان ذلك على يد الـ . . . (٢ المهتم في ذلك المطران . . . (٣ نسأل كلّ انسان يقرا هذه السطور يذكرنا عقيب صلواته »

ساعة شيخ البلد

للاب انطون ربّاط اليسوعي (تتمّة)

فعجّزتُ رأي الشيخ واستدبرتهُ فلز دابّتــهُ فرحت وغاب عن ناظرنا مخلّفًا بعدهُ الخوف والاضطراب

قال شارل: قد راعنا الشيخ والاجدر بنا ان نتبع مشورتهُ فنعود على الاعقاب

قلت: واي خوف علينا وماذا اتينا من الاثم انّ الضمير السليم لفي كنف العناية الالهيَّة فلا يمسّهُ ضرّ

قال شارل: أرأيت كيف كان يرشقنا باللحظات

فاجبتهُ: دع الاوهام ولا ترتعد للحظاته واظنهُ اراد ان يهزأ بنا او هو احد المغنّين جاء للموسم يسوءه رؤية من عزم على ان يباريه في الغناء ويشاطره في المكسب

فراق هذا التعليل في اعيننا وجهدنا ان ننبذ تخويفه وراءنا ظهريًّا ولا نعبأ به. ثم سرنا بجدّ فتسلّقنا الرابية بقدم ثابتة رغمًا عن الثلج الهطّال الى ان بلغنا ذروتها فاذا ساحة فسيحة في صحنها اشجار مصطفة على قياس شطرنجي تناطح النجوم بروؤسها الشامخة وادواح وارفة الافنان كأنها السحب عرضًا وعلوًّا. وجعلنا نجول في انحاء الساحة نشرف من كل اطرافها على مشاهد لا مثيل لهُ من جبل وسهل وواد قد زانها الخالق بالجمال والخصب وحلّتها الشمس بحمرة الشفق تتلألأ على بياض الثلج المختلط بخضرة المروج ولم تملإ العيون من مرآها البديع لما لحقنا من لفحات البرد وكانت ليلة قرة فانحدرنا مسرعين على رجاء العود في الغد ثم دخلنا المدينة نسأل عن نزل الفرس الاحمر فسرنا بين طرق ضيّقة تتراكم فيهــا العمارات وتتلاصق البيوت والناس قد تقاطروا للموسم من كل وجهة

١ و ٢) ممحوَّة

٣) وقع اسم المطران وهو انطونيوس السابق ذكرهُ

وصوب فغصّت بهم الاسواق والفنادق الى ان وصلنا الى باب ضخم تعلوه صورة فرس احمر وهو الفندق المطلوب فدخلناه. فتقدمت الينا خادمة النزل مرحبةً بنا فاستثبتُها فاذا هي حنَّة قريبتي وخطيبتي فسلّمتُ عليها فردّت السلام ورحبت بي وسُرّت بالتلاقي لطول افتراقنا. ثم قالت: ادخل الى القاعة مع اصحابك وساعود اليكم. فلبينا دعوتها وفتحت الباب فاذا ديوان مظلم متّسع الارجاء مستند على اعمدة من خشب قد غصّ بالمئين من الزوّار والمسافرين يشربون الجعة ويعاقرون الخمر وقد تصاعد دخان غلايينهم كغمام اسود فسد به الهواء. وجعل القاعة اشبه شيء بافران معامل الحديد وقُمَن المعادن. وفي الصدر صاحبة الحانة عجوز دردبيس مضبورة الخَلْق جالسة امام مائدة صفّت عليها زجاجات ودساتج من الخمر والجعة وهي تترصد الزبون. فسألتها ان تعيّن لنا مكانًا منفردًا رخيص الاجرة نأوي اليه وان تبعث الينا شيئًا من الخبز والقديد. فنظرت الينا نظرة الامتهان لما رأت من ثيابنا الرثة واجابت ان الضيوف الموسرين كثيرين في منزلي ولم يبقَ الّا عليّة من خشب بنيتها على السطوح آجرها الليلة بثلاثة فرنكات

قلتُ: لا بأس

فصرخت بصوت كالرعد القاصف: حنَّة

— نعم سيدتي

— سيري امام هؤلاء الى العليّة وأعطيهم ما يريدون وعودي حالًا

فتقدّمت حنَّة ونحن نتبعها الى ان وصلت بنا الى مخدع والاحرى ان نقول الى كوخ مستندة جدرانه الى منازل الجيران لالتصاق البيوت بعضها ببعض ثم جاءتنا بما نحتاج اليه من الطعام وبقليل من الحطب فاشعلناه في الموقد نارًا تصطلي. وفي غضون ذلك كانت مولاة حنَّة تدعوها بصراخ يرنّ في آذاننا: الى متى تتأخرين يا خادمة السوء. ان هذه الابنة ستخسرني كلّ مالي بكسلها

وكنتُ اوقف حنَّة لاستطلعها طلع احوالها ولكن لم تدع الحيزبون سبيلًا الى ذلك. فخرجت ثم عادت بعد قليل قائلة: هل معكم اوراق تنبئ بحرفتكم ؟

— ولِمَ

— لان في المدينة زمرة من الاشقياء يقتلون ويسرقون ولم تتمكن الحكومة من

القبض عليهم فبثت العيون في كل الانحاء. وامرت الشرط ان ينظروا في اوراق المسافرين ويشددوا على المارين

فارادت ان تزيدني ايضاحاً لكن صراخ سيدتها كان قد ملأ الخافقين فاسرعت مهرولةً وتركتنا .

قال ألفريد: اخاف من هذه الانباء السيئة واخشى ان نضحي فريسة القتلة

فاجبتهُ: هيَّ على الطعام وسكّن الجأش لا خوف علينا ما دامت سيرتنا صالحة وسريرتنا لا غشَّ فيها

قال شارل: لم ارَ قط قاتلاً فما اعظم ما يكون حظي اذا سهلت لي المقادير ان ارى الليلة احد اصحاب القتل والنهب فامسكهُ واوسعهُ ضرباً واشدّ اساره

فقاطعهُ الفريد: اسكت وقانا الله من هذه الحوادث المشؤومة

قلت: ألا ترى يا شارل ان الفريد اجزع من الضب فدع ذكر المخاوف والّا لانقطع صوته رعباً وكفَّ يوم غدٍ عن الغناء فنعود صفر اليدين

فاكلنا واخرج كلٌّ غليونه فدخّنا الى ان دقّت ساعة البلد نصف الليل فامتدَّ كلٌّ منّا على حدة وقد التحفنا بالاعينة واردنا النوم

قال الفريد: أسمعُ همس اقدام على السطوح غير بعيد عنا . فرفعنا جميعاً الرؤوس ومددْنا الاعناق فاذا امام الشباك علج كالجبّار بيده سكين او ساطور . فاخذ منا الرعب كل مأخذ فارتعش الفريد واقشعر وتلجلج لسانه فاختبأ وراءي . لا يبدي حراكاً وكنا ننظر الى زائرنا المشؤوم لا نرى للخلاص سبيلاً ونحن عُزل لا سلاح لنا الّا المزمار والقيثارة . وبعد هنيهة دفع العلج الشبّاك بهدوءٍ ففتحهُ وجعل ينظر ما حوله ويدير سكينه وعيناه تتوقدان شراً كأنهُ مزمع ان يفتك بنا

ثم تدلّى فنزل واقترب من النار واظنهُ لم يرنا فقلت في نفسي: ان تقدم اليَّ دافعت عن روحي فاما انجو بقتله او اموت ميتة الشجعان . ثم جلس على كرسي واخرج ساعة من جيبه فوضعها على مائدة الموقد وهو ينظر يميناً وشمالاً ويلعب بسكينه ويبربر بربرة الزنوج وبعد دقيقة ظننتها شهراً تسلق بالشباك وعاد من حيث اتى فاستثبته عندئذٍ فاذا هو شيخنا بشير السوء صاحب البغلة فعادت الينا ارواحنا . فاذا ساعته قد نسيها على الكرسي فسددنا الشباك سدّاً محكماً خشيةَ ان يعود وفتحنا الباب حتى اذا ما جاء

فررنا بالدرج وطلبنا المونة . ولبثنا ساهرين الى ان بزغ الفجر ولم يعد زائرنا المشؤوم فانفرج عنّا غشنا واجمع رأينا على انهُ هو القاتل المجهول الذي ذكرتهُ حنّة . فعوّلنا على ان نذهب صباحاً الى الحكمة فنسلّم الساعة التي تركها شاهداً عليهِ ونعلم اصحاب الامر بحقيقة الحال

وكنت اخذت الساعة اقلّبها فانتشلها شارل من يدي وهو يرعد ويبرق غضباً على زائرنا ويفتخر ان لولا شجاعته لمتنا لا محالة ثم قال: انا آخذ الساعة الى دار الحكومة وأُطلع الشرط على سرّ القاتل

فلم اعاندهُ خوفاً من عربدتهِ

ثم نزلنا من حجرتنا ودخلنا القاعة نأكل شيئاً قبل ان نعرج على دار الحكومة ثمَّ نذهب الى الموسم فلم نكد نمدّ يدنا الى الطعام الّا والشرط احاطوا بالخانة فدخل رهط منهم وهم يتحادثون سرًّا فسمعتهم يقولون: يا لله كيف توصل السارق من الدخول الى حجرة شيخ البلد . لا بد من البحث والتنقيب وبث العيون

ثم تقدم احدهم وقال: ايّها الحضور باسم الحكومة يجب ان نرى هل اوراقكم منتظمة لئلا يحدث لاحدكم ما يكون سبباً للتُّهم والظنون

وبينا كان كل يبرز تذكرتهُ تقدمتُ لاظهر لقائد الشرط ما منعني وصاحبيَ على الحصول عليها . امّا الفريد فزاد اضطرابه وهمَّ ان يخفي الساعة التي كانت بيده فلحظها احد الشرط فاختطفها وقال: ساعة شيخ البلد فُقدت الليلة . فهتف الجميع هم اللصوص القتلة . فانقضّوا علينا انقضاض الباشق على العصفور وعلا الصياح وكثر الهرج والمرج وشارل قد أُرتج وامتُقع لونهُ اصفرارًا . فتقدمتُ لاصرح بالحقيقة فلم يعبأُوا بي فرأيت في الفرار نجاة لي اغتنمتها عسى اخلص فاجد سبيلًا لخلاص رفيقيَّ . فخرجت وتبعتني حنّة باكية وقالت: انزل الى مستودع الخمر واختبئ والّا احس بك القوم . فنزلت . وقضيت نهاري في الظلمة والبرد وراء برميل وكانت حنّة تزورني مرة بعد مرة كئيبة لا تتجرأ ان تخاطبني لما داهمها من الغم ولئلا يطلع القوم على سرها . فطلبت اليها ان تخرجني من مطمورتي اذا ما جنَّ الليل فوعدتني . فلبثتُ في اسوأ الاحوال اسمع ضجة الزوّار ولعناتهم على اللصوص القتلة واعلل النفس بالنجاة الى ان غابت الشمس واظلم حبسي . وبعد هجعة من الليل سكنت الحركة وانا بانتظار حنّة احسب الساعة

شهراً فسمعت صراخ صاحبة الحانة وهي تخاطب حنّة أن : عودي الى القاعة فصفّي الكراسي وانا اتيل فارى ما بقي عندنا من الخمر

قالت حنّة : دعيني يا سيدتي اذهب فقد اضناكِ التعب

فاجابتها : ان هذا يعنيني

— لكنَّ القبو مظلم رطب فيؤثر في صحتكِ

— اراكِ الليلة فصيحة مجتهدة على غير عادتك ذريني واذهبي

ثم اشعلت شمعة وتقدمت وحنّة خارجاً مضطربة تتضرع الى الله ألّا تراني سيدتها فاقع وتقع في شر بليّة . امَّا انا فكنت اتقلّب على احرّ من جمر الغضا وقد عيل صبري واعياني التعب فسمعت العجوز تدبر وتبدي سوء خلقها ثم تقدمتْ الى حيث كنتُ وانا ارجع القهقرى الى الوراء كلّما تقدمتْ . فوقع نور شمعتها على وجهي فرأتني وصرخت صراخاً ارتجّ لهُ المكان فسرتُ اليها مستغيثاً : لا تخافي يا سيدتي لست لصاً ولا قاتلاً ناشدتكِ الله لا تُعلني امري . . . بحياتكِ . . . ها اني ذاهب ولم اختلس شيئاً اشفعي بي ارحميني . . .

فلم تعِ لمقالي وكان يعلو صراخها : يا سكّان البلدة يا جنود قتلني . سفك دمي . امسكوه . اقتاوه . فتسلقتُ السلم واذا الباب مفتوح فخرجت هائماً على وجهي والثلج يتساقط عليَّ والبرد يلفحني فركضت امامي كالمجنون من طريق الى طريق لا ادري اين اذهب اسأل الله ان ينجيني من هذه البلوى وبعد ساعة وقفتُ فاذا انا على باب الحانة قد عدت الى ما كنت هارباً منهُ وقد اجتمعتْ على الباب الجموع لما شاع ان اللصوص قتلوا صاحبة الحانة

فلم استطع العود لئلا ترتاب بي العيون فتجلّدتُ ودخلت كاني غريب اجهل ما حدث فلم يعبأ بي احد ولمّا رأتني حنّة صرخت : انت هنا . فهمتُ اليها ان اسكتي واتيني بشيء من الطعام والشراب وكان الحاكم يستنطق المرأة وهي تقول : رأيتهُ هو هو رئيس اللصوص مع زمرة من ذويهِ

— وكم كان عددهم ؟

— اكثر من عشرين

— كم لهُ من العمر تقريباً

— نحو الخمسين سنة وبيدهِ خنجر اراد ان يطعنني بهِ فدافعتُ عن نفسي لانك تعرف حلاوة الروح فخمشتهُ وامسكتهُ لكن ذويه احاطوا بي من كل جانب وخلصوه وهربوا . لا بدّ من شنقه والّا اصبحنا في خطر دائم

فخطّ القائد على دفتر بيده كل ما قالتهُ العجوز . ثم قال : كوني براحة قد عرفتهُ وهذه بالحقيقة علاماته وغدًا نعود بالمجرمين لاستنطاقهم . قال هذا ثمَّ خرج الجميع

امَّا انا فطلبت مخدعًا للنوم لان التعب كان قد اعياني فأقفلت الباب وجثوتُ على ركبتيَّ طالبًا معونة الله وشاكرًا لهُ ولم افق الّا لضجة القوم يتسادون عددًا ممَّن أُلقيت عليهم التهمة فقمتُ حالًا وصليت الى الله كي يهديني . الى خلاصي وخلاص الابرياء وصعدت الى العلية حيث قضينا ليلتنا الاولى فاذا على الثلج آثار اقدام شيخنا المشؤوم قد جاء على عادته فعوَّلت على ان اشرح حقيقة الامر باجمعه . ولمَّا عدت كان الاستنطاق جاريًا والحاكم بيده الساعة برهان الجرم فتقدمت وقلت جهارًا ان هؤلاء جميعًا ابرياء فالساعة انا وجدتها وانا اختبأت في القبو وان اجزت لي اطلعتُك سرًّا على حقيقة هذا الامر

فانفردنا عن الحضور واخبرت الحاكم بكل ما كان مفصلًا ثم قلتُ : وبرهان مقالي هلمَّ بنا الى العليَّة ها آثار الاقدام على الثلج واظنهُ سيعود

قال : اني لاعجب من مقالك وسنرى في الامر

فقيد الاسرى الى الحبس ولمَّا اظلم الليل صعدت وايَّاه مع جنديين واختبأنا في العليَّة الى ان اقترب نصف الليل فاذا زائرنا عائد كالمرة الاولى والسكين بيده ففتح الشباك ولم يكد يصل الى الارض الّا وقد امسكناه فصرخ ثم حسنا بمائع يسيل على ايدينا ثم شهق شهقة الموت وسقط فاشعلنا الشمعة فاستثبتهُ الشرط فاذا شيخ القرية بنفسه وسكينه في صدره وقد لفظ روحه

فانتشر الخبر في المدينة ولم يعرف قط احد هل صنع ما صنع في يقظة او منام وكان قوم يدعون انهُ شرير وقوم ينكرون

قال الراوي : امَّا انا فتحقَّقت أنَّهُ في يقظة وانَّما فعل ما فعل حسدًا لانهُ كان من كبار المغنيين وهو يؤمّل في نوال السباق فخاف ان نسلبهُ ايَّاهُ فتعرَّض لنا وصمَّم على ايقاعنا في حبائله فدارت عليهِ الدوائر .

من رياق الى حماة

رحلةٌ حديثة للاب لويس شيخو اليسوعي

بارك الله في البخار فانهُ خوَّل الانسان اجنحة ضنَّت بها عليهِ الطبيعة . بارى الطائر في سيرهِ فغلبهُ في سرعتهِ وقطع في بضع ساعات ما لم يقطعهُ سابقًا الّا بعد ايام طوال ومشاقّ تشقّ بها النفس

وهاك السكّة الحديديَّة الجديدة بين رياق وحماة قرَّبت الينا بلادًا كان اهلها وهم من بني الاوطان ابعد عنّا من ذوي الاصقاع الاجنبيَّة لقلَّة الوسائل الرابطة بين اطراف الولايات فاصبحوا اليوم بتقرُّب المسافات تضمُّنا وايَّاهم اواخي الحبّ واواصر الوداد فذاك ما حملنا على ان نزور اخوانًا عشقهم القلب فيرويّ العين رؤياهم ونتفقّد اقطارًا زانتها الطبيعة بزواقها وادرَّ عليها الله خيراتهِ العميمة

*

رياق ضيعة صغرى او بالحري ارض غامرة ستصبح عمَّا قليل بلدةً ذات شأن تنتهي اليها سكّة حماة وتحطُّ عندها سكّة الشام وبيروت. فترى فيها من حركة الاعمال ما لم يخطر قبل سنتين على بال. فسبحان ناشر الرفات ومحيي الموات

اقلعنا من رياق نحو الساعة الثانية بعد ظهر الجمعة في ١٩ ايلول في قطارات تضمن للسَّفر كل اسباب الراحة من سعة مساندها وحُسن مقاعدها ولين سيرها بحيث يمكن المسافر ان يقرأ ويكتب دون عناء كانهُ في غرفة اشغالهِ مع انَّ القطار يقطع ٣٠ كيلو مترًا في الساعة ولو شاء لأربى على ضعف هذه المسافة

وممَّا يأخذهُ الركّاب على هذه السكة انَّها تشحن البضاعة وتقلُّ الركاب معًا وهذا مما يورث السأم لطول الاقامة في المحطات ولو أُفرد للبضائع قطار خاصٌ لكان اولى. وهو امر انتبهت اليهِ الشركة فتجري عليهِ ان شاء الله اذا ما توفرت الصادرات والواردات وكثرت المعاملات التجاريَّة

وقد سمعنا البعض يلومون السكّة على ارتفاع اسعارها في نقل الركاب لكننا لا نوافقهم على ملامتهم مع ما تكلّفهُ اصحاب العمل من النفقات في مسافة يبلغ طولها

نحو ضعف المسافة بين بيروت ودمشق . وما لا يختلف فيه اثنان انَّ اثمان الشحن متهاودة جدًا اذ لا تكلّف اصحابها الَّا ثلث ما كانوا ينفقونهُ سابقًا على الجمال فضلًا عن سرعة النقل ووفرة الأمن ووصول البضائع سالمةً الى ايدي التجار

تسير السكة من رياق ووجهتها الشمال في بقاع رحاب واراضٍ كثيرة الخصب زكيّة الريع وعلى جانبيها من بعيد جبلان لبنان عن يسارها والجبل الشرقيّ عن يمينها كانهما سوران حصينان يدفعان عنها نكبات الزمان ويحدران اليها مياهًا تزيدها دسمًا ونعمة

وليس بين رياق وحمص محطَّةٌ تُذكر اللهمَّ الَّا بعلبكّ فانَّ آثارها العجيبة ستصبح مقامًا يتوارد اليهِ كلُّ طالبي عاديَّات الاقدمين لاسيَّما بعد إذ ظهر كثير من معالمها الدارسة وطلولها البائدة بهمَّة البعثة الالمانيَّة التي تولَّت حفر هذه القلعة الشهيرة فابرزت شيئًا من محاسنها المشوَّهة بيد الحدثان . هذا فضلًا عمَّا في بعلبكّ من المياه الجارية والحدائق الغنَّاء ممَّا يجعلها كواحٍ في وسط هذه البطحاء

ثم تجري السكة نحو ساعتين مارّةً بمحطَّتي لبوة ورأس بعلبكّ بعيدًا عن القريتين ولا يجد المسافر ما يرتاح اليه نظرهُ في هذه السهول حتى يتجاوز القُصَير فيرى من عن شماله نهر العاصي وبحيرة قطّينة المعروفة سابقًا ببحيرة قدَس والعلماء يرجّحون انَّ في نواحيها كانت مدينة قدَس احدى عواصم دولة الحثّيين وهذه البحيرة متوسّطة في سعتها وهي طيّبة الماء وقد فكَّر اهل حمص ان يجلبوا مياهها الى مدينتهم بالقني فيستغنون عن نقل مياه العاصي بالقرب مع كثرة ما يدخلهُ من الجراثيم الضارّة والاقذار الموبوءة ولعلَّهم يفعلون ان شاء الله

*

حمص احدى قواعد بلاد الشام موقعها في فضاء من الارض كانت تُعَدّ سابقًا من اجلّ مدن الشرق منعةً وعمارةً وهي طيّبة الهواء كثيرة البساتين طيّبة الفواكه . واول ما يُشاهد منها راكب السكّة قلعتها الحصينة التي تُرى منها المدينة على احسن صورة فيمتدُّ منها البصر الى سائر جهات الأفق لا يحجزهُ الَّا ما ينتصب عن بُعد من جبال عكّار وجبال النصيريّة ولبنان . وهذه القلعة اليوم ردمٌ مهجور فوقهُ شيءٌ من الابنية المتداعية

لحمص تاريخ جليل في الاعصار الغابرة ولها من الآثار القديمة من زمن الحثّيين

واليونان والرومان والعرب ما يشهد على خطرها وعظم شأنها الّا أننا نحجم عن وصف هذه العاديّات لئلاّ نكرر ما كتبهُ في هذا الصدد حضرة الاب جوون سابقاً (المشرق ١ : ٧٦٦) . وقد نشر حضرة الاب لامنس بالافرنسيّة عدداً وافراً من الكتابات اليونانيّة التي اكتشفها في هذه المدينة (L' Emésène, 1902) فنكتفي بذكر ما رأيناهُ فيها رأي العيان

حمص قائمقاميّة يبلغ عدد اهلها خمسين الفاً منهم ثلاثون الفاً مسلمون والباقون نصارى من روم اورثذكس ويعاقبة وكاثوليك من طوائف شتّى وهي كرسيّ لثلاثة اساقفة روم ملكيّ وروم اورثذكسيّ ويعقوبيّ . وللكاثوليك اليوم في حمص مقامٌ لم يعهدوهُ من ذي قبل خصوصاً منذ دخلها الآباء اليسوعيّون فانقطعوا للوعظ وتفرّغوا لجميع اعمال البرّ من عيادة المرضى واسعاف الفقراء وتهذيب الاحداث ولهم مستوصف يُقبل عليهِ كل يوم نيّف ومئة من اصحاب العاهات توزَّع عليهم الادوية مجّاناً ويعالجهم احد نطس الاطبّاء وهو الدكتور البارع سمعان افندي السابكيّ . ولراهبات قلبي يسوع ومريم في حمص من المشروعات المبرورة ما يلهج بالثناء عليهِ كلّ من لم تغشَ على ابصارهِ الاغراض

والروم الكاثوليك كنيسة مستحدثة وهي الدار التي كان يسكنها قبل ثمانين سنة آل البحري الذين سردنا تاريخهم في المشرق (٣ : ١٠٩) . وقد بدأت النهضة الكاثوليكيّة بين الروم الملكيين في حمص منذ القرن السابع عشر . واليوم امامهم وطيد في ان راعيهم الجديد صاحب الغيرة والهمّة السيد المفضال فلابيانوس الكفوري يُعيد لهذه الطائفة عزّها ورونقها ويضمّ الى حظيرتها الخراف الضالّة

امّا السريان الكاثوليك فهم اليوم قطيعٌ صغير لا يزال ينمو ويقوى على يد حضرة الاب الغيور ذي الفضل والتقى القس انطون عبد صمد يساعدهُ في عملهِ ونشاطهِ احد اساتذة الآباء اليسوعيين القس اوجين دلّال . حقّق الله امانيهما بانارة المتسكعين في ظلمة الضلال

والروم الارثذكس في حمص اكثر طوائف النصارى عدداً . وقد اخذ رعاتهم في الاهتمام بامورهم منذ عهد قريب . فانّ الجمعيّة الروسيّة الفلسطينيّة انفقت مبالغ طائلة في

تشييد كنائسهم ومدارسهم الحديثة. قد زرنا هذه الابنية الفخيمة وسررنا بما لقينا في اصحابها من اللطف والانس

وكنائس الروم الاورثذكس في حمص ثلاث اقدمها كنيسة القديس إليان او جوليان فيها وراء هيكلها ضريح من رخام يزعم الناس انَّ فيه ذخائر هذا القديس المستشهد في القرن الرابع وليس هناك كتابة تشهد على صحّة هذا القول. والكنيسة الثانية تُدعى كنيسة التلّ لموقعها فوق ربوة مطلّة على البلد وفي هذه الكنيسة الاقنطاس البديع العمل الذي وصفهُ جناب الاديب يوسف غنّام ثابت في المشرق (٥: ٦١٨) نُقل اليها من الكنيسة الكاتدرائيّة لمّا جُدّد بناؤها. امّا الكنيسة الثالثة فهي كنيسة القديس يوحنّا المعمدان الكاتدرائيّة شُيّدت قبل بضع سنين في مقام كنيسة أخرى قديمة. وانتماؤها الى القديس يوحنّا المعمدان انّما هو ذكرٌ لهامة القديس يوحنا الصابغ التي كرّمها النصارى في حمص في القرنين الخامس والسادس كما ورد في المؤرخ بروكوبيوس وفي السنكسارات الشرقيّة والغربيّة (راجع المشرق ١: ٧٧٥). وفي هذه الكنيسة منبر من خشب يناسب الاقنطاس القديم حسناً ودقّة صنعةٍ وكلاهما من عمل اهل حمص قبل ١٥٠ سنة ووجدنا ايضاً في هذه الكنيسة بعض كتب طقسيّة مخطوطة اخصّها سنكسار قديم كُتب في القرن السادس عشر. وقد لحظنا بين صور هذه الكنيسة صورة بديعة مرسومة على الخشب بالوان تمثل الانفس المطهريّة في لهيب النار وفوقها المسيح لذكره السجود يدعوها الى الراحة الابديّة. وفي دار الكنيسة جرس ضخم اهدتهُ روسيَّة الى هذه الكنيسة لم يُبنَ لهُ حتى الآن قبّة ليُجعل فيها

وللياقبة كنيسة متوسّطة في الكبر شيّدوها منذ نصف قرن بدلاً من كنيسة اخرى قديمة ذهبت آثارها. وكُتب هذه البيعة كلّها مخطوطة بالعربيّة والكرشونيّة بينها سنكسار كرشونيّ قديم

وكانت كنائس حمص في سالف الزمان عديدةً ولا يزال يُرى شيء من آثارها في بعض بيوت الخاصّة

وللمسلمين في حمص الدور الرحبة والمعاهد الطيّبة والمساجد الحسنة نخصّ منها بالذكر الجامع الكبير ومقام السيّد خالد وقد مرَّ ذكرهما في المشرق (١: ٧٧٥).

وكذلك بعض بيوت الخاصَّة من باشاوات واعيان البلد. وقد فاز اليوم بينها بيت السيد الدروبيّ الذي تمَّ بناؤهُ موءخرًا.

واهل حمص عمومًا اصحاب جدّ وعمل لا ترى بينهم من صغار او كبار اناث او ذكور احدًا فارغًا وهذا بلا شكّ المع دليل على حسن آدابهم وسذاجة معاشهم كما انهُ اضمن الوسائل لصحَّة ابدانهم. واكثر شغلهم الانوال وهم يشتغلون الحرير والصوف واصناف الاقمشة. وحريرهم يتَّخذونهُ من الدود المربّى في ضياع عديدة شمالي المدينة وشرقيها. امَّا الصوف فيجزُّونهُ من اغنامهم التي تسرح في البراري المجاورة. وهم يصطنعون كل اجناس الانسجة كالاطالس والكفيات الملوَّنة اشهرها المعروفة بالحمريَّة وكالمناشف الحريريَّة والزنانير الدقيقة الصنع والثياب المزركشة بالقصب. وهذه المنسوجات تُرسل الى كل انحاء الشرق وخصوصًا الى مصر والاستانة العليَّة وسواحل الشام وبرّ الاناضول

ومن مرافق حمص غلَّاتها الواسعة التي تزيد على سكَّانها فتُنقل محصولاتها من حنطة وشعير وذرة وعدس الى كل البلاد المجاورة. وربَّما صدرت هذه المستغلَّات الى الاقطار البعيدة فاتت اهلها بارباح بالغة. ومنها ايضًا المواشي العديدة وما يلحق بها من ألالبان والسمن الجيّد والجبن. وزد على ذلك فواكهها الطيّبة المجتناة من بساتينها الرحبة

وقد اجتمعنا في حمص ببعض ادبائها المشاهير من مسلمين ونصارى كاصحاب الفضل الشهير والحسب الاثير من آل الجندي وآل الاطاسي وآل الزهراوي وآل الخوري فلقينا بين جميعهم من المجاملة ورقة الطباع وسعة المعارف ما زادنا اعتبارًا لذواتهم الكريمة

وكان ممَّا دفعنا الى هذه الرحلة الامل بان نعثر على بعض المخطوطات الشرقيَّة التي لم يُخنِ عليها الدهر. فلم يخب والحمد لله هذا الامل. وممَّا اصبنا في حمص بعض المخطوطات كتفاسير للانجيل وللرسائل نقلها لابن الفضل الانطاكي من مشاهير اساقفة الملكيين في القرن الحادي عشر وكتب طقسيَّة بالعربيَّة واليونانيَّة ومواعظ منقولة عن اليونانيَّة وتراجم بعض اولياء الله من جملتها ترجمة القديسة مارينا والقديسة كاترينا والقديس جراسيموس ومباحثات القديس غريغوريوس والقديس افرام. ومن هذه الآثار نسخة قديمة من كتاب بستان الرهبان الشهير. ومنها كتاب يُدعى « العنوان المكلل

بفضائل الحكمة المتوّج بانواع الفلسفة المدوح بحقائق المعرفة اعتنى بجمعهِ الشيخ الفاضل والفيلسوف الكامل اغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي» وهو تاريخ مفيد. في مكتبتنا الشرقيّة منهُ نسخة أُخرى الآن هذه اقدم عهدًا وجدناها عند الشمّاس الاديب نجيب دمعه الحمصي (١. وعندهُ ايضًا وجدنا عشر صحائف من انجيل القديس لوقا مكتوبة على رق غزال باليونانيَّة باحرف جميلة محلّات بالذهب والالوان وهي بقايا كتاب انجيل كُتب سنة ١٣٤٤ للميلاد كان يخص كنيسة القديس سرجيوس وباخوس في بصرى من اعمال حوران. ومع هذه الصحائف صورة القديس لوقا الانجيلي منقوشة بدقة بالوان رائعة. ومن خصائص هذه القطع الانجيليّة انَّ صاحبها يمزج باقوال لوقا بعض اقوال متى تتمّةً للمعنى. ونضيف الى هذه الكتب التي وجدناها كتابًا آخر يحتوي على تاريخ الاطباء لداود الموصلي نظنُّهُ ملخص عن تاريخ ابن ابي اصيبعة. وكذلك انجيل سرياني مكتوب بالخطّ الملكي كان يستعملهُ الروم الملكيُّون في طوروسهم سابقًا وهو لاحد اهل زيدل (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Report of the Director

OF THE PHILIPPINE WEATHER BUREAU 1901 - 1902
Part first. the Climate of Baguio (Benguet)
by Rev. Fr. José Algué S. J. Manila 1902, p. 75

نشرة الارصاد الجوّيَّة في جزائر الفليبين

لم ينسَ القرَّاء ما كتبنا في هذه السنة (ص ٣٧٩) عن مراصد الآباء اليسوعيين في العالم. وممَّا ذكرنا مرصدهم في مانيلا من جزائر الفليبين فانَّ لهذا المرصد من الآثار العلميَّة ما حمل الدولة الاميركيَّة ان تتَّخذهُ كرصدها الرسمي وتجعل لمديريهِ رواتب معلومة. واليوم قد بلغنا القسم الاوَّل من الارصاد الفلكيَّة التي تولّت حكومة الولايات المتحدة نشرها على نفقتها وهو من تأليف الاب يوسف ألغه (Algué) المدير الاوَّل في

١) وفي دير اللويزة من هذا التاريخ نسخة اطلعنا عليها قبل ١٥ سنة وكذلك في دير الشرفة نسخة منهُ

الرصد الشهير بمصنَّفاتهِ الفلكية. وهــذا الجزء يتضمَّن كلَّ ما يختص بمدينة بنغه (Benguet) من حيث موقعها وهوائها وبردها وحرارتها ورطوبتها وارياحها وبقية آثارها الجويَّة وكلّ ذلك بالحسابات المدقّقة والرسوم الدقيقة التي عُرف بها المؤلف وقد احرزت لهُ اسماً شائناً بين أئمّة علماء عصره

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعيّ (الجزء الاوّل ص ١٥٠)

هذه سنةٌ ثالثة يفكّه بها حضرة الاب لامنس خواطر قرّاء المشرق بما ينشرهُ في مجلّتنا من الفصول المفيدة في لبنان وآثاره وتاريخهِ وجغرافيّته. فرأينا اجابة لطلبة عدد غفير من المطالعين ان نجمع هذه الفصول المفرّقة في كتاب واحد نضيف اليهِ رسوماً عديدة زيادة في الفائدة

ولا حاجة الى وصف هذا التأليف الجليل وخواصهِ لعلمنا بان القرّاء كانوا ينتظرون بفروغ الصبر صدور مقالاتهِ ويُقبلون عليها اقبال الجياع على القصاع. والحقّ يقال انَّ مؤلفهُ لم يدَّخر وسعاً في نسج بردتهِ من مطالعات عديدة مملّة واسفار شاقّة ومراقبات شخصيَّة ودروس طويلة حتى جاء كتابهُ تأليفاً فريداً في بابهِ اثنى على فصولهِ ائمّة المستشرقين وسوف يُصبح عند نجازهِ من اقوى الاسباب المساعدة على معرفة احوال هذه الاوطان المجهولة. فعسى ان يكون اقدام المؤلف على هذا المشروع المتعب موقظاً للهمم ومنشطاً لغيرة اصحاب البحث على الاقتفاء بآثارهِ في استخراج دفائن سوريَّة وعادياتها الثمينة

١ تاريخ التمدُّن الاسلامي (الجزء الاوَّل ١٩٠٢ . ص ٢٠٤)

٢ الحجّاج بن يوسف (رواية تاريخيَّة غراميَّة ١٩٠٣ . ص ١٧٦)

وكلاهما تأليف الكاتب الاديب جرجي افندي زيدان منشئ الهلال

ان اسم الكتاب (الاوَّل) يدلُّ بنفسهِ على خطر المباحث التي تولّى صاحب الهلال الفاضل الكتابة عنها. فانهُ تحرّى على ما قال «البحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الاداريَّة والسياسيَّة والماليَّة والجنديَّة وسعة مملكتها وبيان ثروتها وحضارتها

وابنيتها واحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكلّ ما يتعلّق بهم وتاريخ العلم والصناعة والادب والشعر والآداب الاجتماعيّة والعادات والاخلاق في ابان ذلك التمدّن مع علاقاته بالتمدّن الحديث ». وهذه لعمري حقائق تحتاج الى علم واسع ومطالعات عديدة ونظر متجرّد عن الاغراض فضلًا عن انّ الخوض في عُباب قسم منها يقتضي حياة رجل بل رجال لاسيَّا ان كثيرًا من التآليف اللازمة لهذا العمل الخطير لم تزل حتى الآن ضائعةً او ملقاةً في زوايا النسيان . وقد تأيّد رأينا هذا بمراجعة الجزء الاوّل من الكتاب فانّنا وجدناه مع فوائده الجمّة وتفكيهه للالباب بما تضمّنهُ من النكت المبهجة وسلاسة العبارة والتصرُّف بالمواضيع مقصرًا في امور كثيرة لم يستوفها حقّها من البيان فلا يُروى بها غليل عطشان . وربّما جار المؤلف عن الحقّ لحكمه عن الامّة بما لا يصدق الّا عن الخاصّة او زمن من الازمنة . وعلى كلّ حال فانّنا نثني على همة منشئ الهلال الذي لا يرضى بالمباحث المطروقة ويتطلّب لقرّائهِ ما يزيدهم علمًا ونفعًا

امّا الكتاب (الثاني) فهو تابع لسلسلة الروايات التاريخيّة التي باشرها منشئ الهلال ضمّنها قسمًا من الحوادث التي جرت في اوّل دولة بني اميّة على يد عاملهم في العراق الحجّاج بن يوسف . وقد خلط فيها امورًا كثيرة تخيُّليّة باشياء وضعيّة صادقة فاكتفينا بالاشارة

ل . ش

شذرات

﴿ مقالة في المردة ﴾ اتحفنا قدس السيد الجليل والعلّامة النبيل المطران يوسف الدبس بمقالة مسهبة في المردة وقد بلغتنا بعد ان ترتّبت موادّ هذا العدد فلم يسمح لنا ضيق المكان بادراجها هذه المرّة فأجّلناها للعدد الآتي

﴿ الكنيسة الغربيّة ﴾ ما كنّا لنظنّ انّ الكنيسة الغربيّة في خطر عظيم كاد ان تتزعزع به اركانها وتتصدّع ألفتها . على انّ في البلدة جريدة ارثذكسيّة تسهر على صوالح الكاثوليك وتنبّه افكارهم على ما يتهدّدهم من الخطوب كالاوز الذي خلّص بصراخه قلمة الكابيتول الرومانيّ . فنشكر الجريدة المذكورة على تيقُّظها ويا ليتها وجّهت انظارها الى كنيسة هي اقرب منها لاسيَّا ان للكنيسة

الغربيَّة احبارًا اجلَّاء ودعاةً غيورين لا يرون خللًا الَّا يتداركونهُ او نقصًا الَّا يتلافونهُ

※ اوراق مَنشورة ※ سمعنا في حمص وحماة انَّ بعض محبي الفتن وزَّعوا هناك اوراقًا منشورة بلا امضاء ضمَّنوها كلامًا مهيجًا للشحناء والبغض بين الطوائف وزعموا انها للسوعيين. وهذا كذبٌ محض لا نظنُّ انَّ رجلًا عاقلًا يصدّقهُ وكفى بهذا ردًّا على كتبة هذه الاوراق

※ تسييل النار ◆ كان استغلق على الكيماويين حتَّى اليوم وجهُ تسييل النار المائع المستعمل للإنارة وقد توصَّل الى ذلك مؤخرًا احد علماء نيويرك اسمهُ ستوغر (Stowger). ولهذا الاختراع شأن عظيم اذ يسمح بنقل النار الى البلاد القاصية ويُستغنى بهِ عن اتخاذ القساطل الممدودة تحت الارض والآنية الواسعة الضخمة مع هوادة الاسعار

أسئلة وأجوبة

س سُئلنا عن الرائحة التي تسطع من التراب بعد الامطار أتكون من نفس التربة او من الجراثيم التي فيها

رائحة التربة بعد الامطار

ج قد تحقّق العلماء منذ زمن قليل انَّ هذه الرائحة ناتجة عن ميكروب خصوصي يدعى بلغة العلم (Clodothrix odorifera) قد افرزهُ الاستاذ الانكليزي كلرك نوتّال (Clarke Nuttal) وشكلهُ في المُجهر كخيط دقيق ابيض كاسي يحبُّ الرطوبة ولا تعمل فيه الحرارة فاذا هطل المطر تصاعد هذا الميكروب الى الجوّ مع التبخُّر ل . ش

س وسأل مستفيد ما هي مدينة « فوركالاكير » التي ورد ذكرها في النسخة الجديدة من كتاب سلسلة البطاركة التي اعاد طبعهُ جناب الفاضل رشيد افندي الشرتوني . وقد جاء في الصفحة ٥٨ بين القاب لويس الخامس عشر انهُ « مقدّم بروونسا وفوركالاكير »

فوركالاكير

فوركالاكير والاصح فوركلكيار (Forcalquier) ثاني مدينة من ايالة موقعها في جنوبي فرنسة دخلت في املاك ملوك فرنسة في القرن الثالث عشر وضُمَّت الى بلاد بروونسا (Provence) وكان ملوك فرنسة يصدّرون مناشيرهم بذكر فرنسة ونافارة وبروفنسة وفوركلكيار كما ترى في منشور لهنريكوس الرابع صدر في ٢٨ ك ١ سنة ١٦٠٩ هذا اولهُ :

«Henry par la grâce de Dieu, Roy de France et de Navarre Comte de Provence, Forcalquier et terres adjacentes » ل . ش